الشمس
في شعر المعري

د. ياسر عبدالحسيب رضوان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

دكتور ياسر عبد الحسيب رضوان

الشمس
في شعر المعري

مقدمة

الشمس واحدة من الظواهر الطبيعية التي تناولها الشعراء في أشعارهم ووظفوها في سياقات متعددة كالغزل والمدح والفخر والرثاء ، وكذا في الوصف والهجاء ، إلى جانب السياقات الآنية التي تبرز للشعراء عند المرور بتجارب الحياة المختلفة عندما يتفاعلون معها مؤثرين ومتأثرين ، ومدونين ذلك كله في ذاكرتهم الشعرية ، فإنهم كانوا يشعرون بالشمس ويتأثرون بها كما يتأثر بها الناس جميعهم شعراء وغير شعراء ، مبصرين كانوا أو غير مبصرين ، بتفاوت فيما بينهم من حيث طبيعة هذا الشعور المرتبط بالحسية البصرية أو اللمسية أو النفسية ، أو بها كلها ٠

ولم يكن أبو العلاء المعري [٣٦٣هـ . ٤٤٩هـ] بدعًا من الشعراء الذين تحدثوا عن الشمس ؛ فقد مثلت الشمس في شعره مساحة كبيرة على عكس مَنْ ذهب إلى أنها لا تحتل حيزًا ذا بالٍ من التصوير الفني عنده ([1]) لأن دالة الشمس قد وردت في شعره إحدى وتسعين مرة دون أن ننظر إلى مرادفاتها التي سوف نشير إليها في ثنايا البحث ، ودون النظر إلى المصاحبات الدلالية لها كالنهار والضحى والحرّ وغيرها من المصاحبات ؛ لأننا قصرنا البحث على السياقات التي وردت بها دالة الشمس أو الجذر اللغوي شمس ومرادفاتها ٠

يتناول البحث توظيف دالة الشمس في شعر أبي العلاء المعري وهو بحث لم يسبق بأي دراسة تتناول الشمس في شعر المعري ، أو حتى غيره من الشعراء بعد الإسلام ، أو قبله ؛ لأن الدراسات التي تناولت الشعر الجاهلي ، قد انحصرت في دراستين تناولت إحداهما ، الشمس في الشعر الجاهلي ، وكانت رسالة ماجستير قدمت إلى كلية

---

[1] – د/ جاسم سليمان حمد الفهيد : التوظيف الفني للنجوم والكواكب في شعر أبي العلاء – حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية رقم٢٥ – سنة ٢٠٠٥م – مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت – ص ٣٢ ٠

الدراسات العليا بجامعة النجاح عام ٢٠٠٤م ، أما الدراسة الثانية فكانت بعنوان الشمس ورموزها في الشعر الجاهلي للباحث جاد إلياس جبرا أبو سعد وكانت رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية ٢٠١١م ، وأما الدراسة التي تناولت الشعر الإسلامي ، فهي دراسة لصاحب هذا البحث وعنوانها : الشمس في الشعر الأموي بين الرؤية الميثولوجية والدينية ، تناول فيها البحث توظيف دالة الشمس في الشعر الأموي ٠

وقد اتكأ البحث على المنهج الوصفي التحليلي ؛ حيث قام برصد السياقات التي وردت فيها الشمس ومرادفاتها مع تحليل الصورة الفنية للشمس وربطها بالسياقات الثقافية والاجتماعية والنفسية والعقدية وهي السياقات التي ارتبطت بحياة أبي العلاء المعري ، وكان لها دور بارز في تجاربه الشعرية ٠

الشمس : مدخل لغوي دلالي :

يشير الجذر اللغوي **شمس** في المعاجم العربية إلى التلوُّن وقلة الاستقرار ، والشمس معروفة سميت بذلك لأنها غير مستقرة ،فهي أبدًا متحركة ، والشَّمُوسُ من الدوابِّ الذي لا يكاد يستقر ،والمرأة الشَّمُوس التي تنفر من الريبة ، أو التي لا تُطالع الرجالَ ولا تُطمِعُهُمْ والجمع : شُمُس ،والرجل الشَّمُوس: الذي لا يستقر على خُلُقٍ ، عَسِرٌ في عداوته ،شديد الخلاف على مَنْ عانَدَهُ ،فهو صعب الخُلُق ، والشَّمُوس اسم من أسماء الخمر ؛ لأنها تجمحُ بصاحبها جِماح الشَّمُوس من الدواب ، والمُشَمَّسُ هو الشديد الذي يمنع ما وراء ظهره ، والمُشَمَّسُ هو البخيل الذي لا تنال منه خيرًا ، والشَّمْس : ضرب من القلائد وهو مِعْلاق القلادة في العنق ، وقيل الشمس قلادة الكلب ،والشمسة :مشطة للنساء ، وبنو الشُّموس بطن ،وعين شمس :موضع وشمس عين ماء ، وعبد شمس :بطنٌ من بطون قريش ،سُمُّوا بذلك الصنم ([٢]) ومنه التشميس أو عبادة الشمس ([٣]) وشُمْسٌ " صنمٌ كان لبني تميم ، وكان له بيتٌ ، وكانتْ تعبُدُه بنو أدّ كلُّها " ([٤]) .

والشمس باعتبارها أحد نجوم السماء لها في اللغة العربية مترادفات كثيرة ، منها : **الجونة الجوناء ذكاء ، العين ، حناذ ، الصقعاء ، السراج ، الشرق ، الشريق ، الشرقة ، الغورة ، العجوز البتراء ، البسرة الغزالة ، الطفل ، الجارية ، الضحى ، براحِ** ، وقد استخدم أبو العلاء المعري بعضًا من هذه المترادفات في شعره ، وهو

---

[٢] – ابن فارس : معجم مقاييس اللغة – تحقيق وضبط عبد السلام هارون – دار الفكر – دمشق ١٩٧٩م– ٣/ ٢١٣–٢١٤– مادة شمس ، وانظر : ابن منظور : لسان العرب – د.ت – دار صادر – بيروت – ٦/١١٢–١١٥

[٣] – الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس – تحقيق محمود محمد الطناحي – راجعه مصطفى حجازي وعبد الستار أحمد فراج – مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٦م – ١٦/١٧٤ – مادة شمس

[٤] – ياقوت الحموي : معجم البلدان – دار صادر – بيروت ١٩٧٧م – ٣/٣٦٢

ما سنشير إليه عند تحليلنا للسياقات التي وردت بها دالة الشمس ومترادفاتها ٠

وبالرجوع إلى الدلالات اللغوية التي حوتها المعاجم عن مادة **شمس** ، نستطيع أن نميز منها ما يتعلق بالمرأة :تنفر من الريبة ولا تطالع الرجال ولا تُطمعهم ،ونميز منها ما يتعلق بالرجل : لايستقر على خلق ،صعب ،شديد العداوة ،يحمي أهله وعرضه ، وهو البخيل كذلك ، وما يتعلق بالدواب : الجموح الذي لا يكاد يستقر ، وعندما نربط هذه الدلالات بالشمس كجرم من الأجرام السماوية ، وضوئها وطاقتها وتغيرها وعدم استقرارها ، نستطيع أن ندرك شيئًا من أسرار تقديس العرب للشمس حتى إنهم كانوا يسجدون لها كما حكاه القرآن الكريم على لسان الهدهد في قول الله عز وجلَّ :﴿ **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ** ﴾ [النمل ٢٤] ٠

وإذا كانت هذه العبادة مرتبطة بالعرب الجنوبيين الذين تمثلهم ملكة سبأ ـ ***بلقيس*** ـ فإن " الإله بَعْل الذي عُرِف داخل شبه الجزيرة العربية في الواحات ومساقط الأمطار ،هو إله الشمس وقد عبدته قبائل عربية متعددة ،وتسمَّتْ به كعبد شمس وامرئ الشمس وعبد السارق وعبد المحرِّق ، وتشخصت الشمس بصنم وبنوا لها الهياكل " (٥) وبعل هذا صنم من الأصنام المعبودة عند العرب في الجاهلية ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قول الله عزّ وجلَّ : ﴿ **أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ** ﴾[سورة الصافات ١٢٥] ٠

ويبدو أن عبادة الشمس كانت معروفة في الجزيرة العربية منذ أيام نبي الله إبراهيم عليه السلام ، وذلك ما حكاه القرآن الكريم عن حالة إبراهيم عليه السلام عندما أدرك سفاهة قومه العابدين للأصنام ، وخرج يبحث عن الإله المستحق للعبادة مُعْمِلاً عقله ، فهو يرى

---

٥ – د/ سميح دغيم : أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام – ط١/١٩٩٥م – دار الفكر اللبناني – ص ١٤٥ ٠

الكوكب بازغًا ، فيحسبه ربه ، وعندما أفَل هذا الكوكب رفض عبادته لأنه لا يُحب الآفلين ، ولما سطع القمر بنوره الذي أضاء ظلمات الليل حسبه ربه أيضًا ، فلما أظلم القمر ، واختفى نوره أدرك إبراهيم أنه لا يستحق العبادة ، ثم كانت الشمس كما حكى القرآن الكريم ﴿ **فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾[سورة الأنعام ٧٨] ومن الملاحظ أن القرآن الكريم قد جعل الشمس مؤنثة ، ولعل ذلك ما يفسِّر تلك الملاحظة التي لاحظها ***ديتلف نيلسون*** وغيره من العلماء عن الآلهة في الجزيرة العربية أن " جميع الأسماء المؤنثة للآلهة هي ألقابٌ أو صفاتٌ لإلهة الشمس ، إن الاسم شمس كالقوة الجاذبة التي تجذب إليها سائر أسماء الآلهة الآخرين " ([٦]) .

وإذا كان ***نيلسن*** قد نظر إلى الشمس الإلهة على أنها مؤنثة ، فإننا نجد ***جفري بارندر*** يعُدُّها ذكرًا في حديثه عن الآلهة المنتمية إلى عالم النجوم والكواكب عند السومريين والساميين ، ومنها القمر والشمس أو شاماس الذي يقول عنه : " أما إله الشمس والإلهة الرائعة إنانا Inanna ويقع معبده الرئيسي في مدينة أور Ur وحرّان أما شاماس أو شمس أو الشمس ، فهو يعبر السماء يوميًّا بعربته مُبَدِّدًا الظلام والشر، بينما يوزع أشعته بالتساوي على جميع الموجودات على نحوٍ صارمٍ ، وبلا تفرقة ، وفي الليل يعبر العالم السفلي ، ويواصل دورته بوصفه القاضي الأكبر وإله القرارات ، وكان يُرمَز له في بابل بالشمس ذات الأشعة الأربعة ، في حين كانوا يصورونه في آشور بقرص الشمس المجنَّح " ([٧]) .

---

[٦] – ديتلف نيلسون ورفاقه : التاريخ العربي القديم – ترجمة د/ فؤاد حسنين علي ، مراجعة د/ زكي محمد حسن – مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨م – ص ١٩٣ .

[٧] – جفري بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب – ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام – مراجعة د/ عبد الغفار مكاوي – عالم المعرفة ١٧٣– المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – مايو ١٩٩٣م – ص١٥ .

ولم يقف أمر تبجيل الشمس وتقديسها بالعبادة عند العرب ، وإنما تعداها إلى النجوم والقمر كما ورد في حوارية إبراهيم عليه السلام تلك التي أشرنا إليها من قبل ، ومن ثمة فإننا " نكون أمام ثالوثٍ معبودٍ هو الشمس والقمر والنجم الثاقب الذي هو عثتر في نصوص العرب الجنوبيين " (٨) أو ربما كان " هو الزهرة في رأي معظم الباحثين " (٩) حيث إن الشمس " تكوِّن مع القمر والزهرة الثالوث الإلهي المقدس الرئيسي الذي ابتدأت به الديانة السامية الأولى " (١٠) وثمة أساطير دينية في اليونانية والهندية ، وعند بعض الشعوب الأخرى تروي أن عثتر هذا هو الابن الناتج عن زواج القمر بالشمس (١١) .

بيد أن هذا الزواج أو الاقتران بين الشمس والقمر ، وما نتج عنه من النسل الماثل في كوكب الزهرة ، وإن كان شائعًا وموثقًا في نقوش وأساطير الأمم الأخرى كالسومريين والأكاديين وغيرهم ، إلاّ أن النقوش الموروثة عن العرب في الجاهلية لا تشير من قريب أو بعيد إلى مثل هذا الزواج أو الاقتران . رغم شيوع الفكرة نفسها عنهم ؛ ربما رجع ذلك لصلاتهم ومجاورتهم للشعوب الأخرى التي حفلت نقوشها وأساطيرها بهذا الزواج " ومن ثَمَّ فإننا . كما يقول الدكتور إبراهيم عبد الرحمن . عاجزون عن فهم حقيقة هذه الصلة العائلية بين هذا الثالوث على النحو الذي كان يتصوره الجاهليون ، وقد ورد في اللغة العربية لفظ اقتران في كتب النجوم والأنواء ، ويُطلق عادة على اقتران الشمس بالقمر ، واقتران الكواكب الأخرى بعضها ببعض ، مما يوحي بأن وراء هذا الثالوث الوثني أسطورة دينية ضاعتْ فيما ضاع من أخبار

---

٨ – د/ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – منشورات جامعة بغداد – ط٢/١٩٩٣م – ١٦٥/٦ .

٩ – السابق ١٧٦/٦ .

١٠ – حسن نعمة : موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة – دار الفكر اللبناني – بيروت ١٩٩٤م – ص٢٣٥ .

١١ – السابق ١٧٤/٦ .

الجاهليين " ([12]) وعباداتهم ، وقد لا نستبعد نحن ارتباط هذا الثالوث بصورة أو بأخرى بعقيدة التثليث عند النصارى الذين عرفتهم بلاد العرب مع الحواريين الذين قاموا بنشر المسيحية في بقاع مختلفة من الأرض كان من بينها بلاد العرب ، أو ربما كانت هذه المعرفة قبل ذلك فإن " أول اتصالٍ للنصارى بالعرب تم بمؤسس المسيحية يسوع الناصري " ([13]) .

وقد كانت لهذه الآلهة الوثنية المنتمية إلى الأجرام السماوية طقوس خاصة حتى نزول القرآن الكريم ([14]) الذي نهى فيه الله تعالى العرب عن السجود للشمس والقمر باعتبارهما مخلوقيْن من مخلوقات الله عز وجل ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾[سورة فُصِّلت ٣٧] وسورة فُصِّلَتْ مكية بإجماع المفسرين ([15]) ومكيتها تستدعي خطاب مشركي مكة العرب وهو ما يؤكد عبادتهم لهذه الأجرام السماوية ، وإلا لما نهاهم الله تعالى عن السجود للشمس أو للقمر بل الأولى أن يسجدوا لله الذي خلقهما .

ومن خلال الآيات القرآنية الكريمة ، وكلام المؤرخين ندرك أن العرب في جنوب الجزيرة العربية أو في شمالها كانوا يعبدون الشمس

---

[12] – د/ إبراهيم عبد الرحمن محمد : التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي – مجلة فصول – المجلد الأول – العدد الثالث – إبريل ١٩٨١م – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ص ١٤٠ .

[13] – الأب جرجس داود داود : أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي ط٣/٢٠٠٥م – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت – ص ٧٤ .

[14] – ديتلف نيلسون : التاريخ العربي القديم ص ١٩٨ .

[15] – ابن عطية : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد – ط١/٢٠٠١م – دار الكتب العلمية – بيروت – ٣/٥ .

مِنْ بين ما كانوا يعبدون من دون الله تعالى ، فقد قدسوها وبنوا لها الهياكل العظيمة " وقربوا لها القرابين وحجوا إليها وذبحوا لها الذبائح ، واعتكفوا عندها خاضعين عابدين " (١٦) وذلك لما للشمس " من أثرٍ بارزٍ في الزرع والأرض ، وفي حياة الإنسان بصورة مطلقة " (١٧) وقد كان لها عند اليمنيين القدامى مكانة قدسية فهي الإلهة المعبودة التي تنعم على عبادها بكل النعم ومن ثمة أطلقوا عليها لقب " خير " وجاء في الترنيمة (١٨) :

نسْتجيرُ بكِ يا خيرُ فكلُّ ما يحدث هو مما صنعْتِ

بموسم صيد خنوان مائة أُضحيةٍ سَفَحْتِ

ورأسِ قبيلة (ذي قَسَدٍ) رفَعْتِ

وصدر علهان ذي يحير شرحْتِ

والفقراء في المآدب خيرًا أطعمتِ

والعين من أعلى الوادي أجريْتِ

وفي الحرب والشدة قوَّيْتِ

إلى غير ذلك من النعم والهبات التي التي أسبغتها الشمس الإلهة على الحميريين من عرب اليمن في جنوب الجزيرة العربية ، ومن ثمة كانت عبادتهم الممثلة في تقديمهم الصلوات والقرابين إلى الشمس في معابدها في صورة من صور الشكر والعرفان بنعمها وهباتها عليهم ٠

---

١٦ – محمد الجارم : أديان العرب في الجاهلية – ط١/١٩٢٣م – مطبعة السعادة – ص ١٨٧ ٠

١٧ – د/ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٢/٦ ٠

١٨ – د/ يوسف محمد عبد الله : ترنيمة الشمس – نقش القصيدة الحميرية – صاغها شعرًا سليمان العيسى – ط١/١٩٨٩م– مركز الدراسات والبحوث اليمني – صنعاء ص ٢٢– ٢٦ ٠

ولا شك أن العرب في بيئتهم الصحراوية القاحلة كانوا يدركون أثر الشمس عليهم ، وعلى الحياة من حولهم ، فهم لا يرون طيلة النهار إلا الشمس وما تتركه من أثر على كل شيء من حولهم : على حياة الإنسان والحيوان والنبات ، والمنازل والأطلال وغيرها ، ومن ثمة ندرك أن العرب قد " ألّهوها وعبدوها وشيدوا لها المعابد ، وقدموا لها القرابين ، وفي أخبار الجاهليين وأشعارهم ما يؤكد عبادتهم لها ، وهي أخبارٌ فيما نُرجِّح هذه الأخبار ، تعود إلى مرحلة بعينها من تاريخهم ، كانوا يستقرون فيها بالأراضي الخصبة المنتشرة في أطراف الجزيرة ووسطها " ([19]) .

ولا شك أن ربط عبادة الشمس بالخصب الذي يبدو في استقرار العرب بالأراضي الخصبة حيث النبات المتأثر بالشمس هو محاولة لتأكيد فكرة الخصوبة وهي العامل المشترك بين الشمس والمرأة باعتبارهما إلهتيْن أو معبودتين عند العرب القدماء وعند غيرهم من الأمم الأخرى ، إذ " من الجدير بالذكر أن الشمس والقمر والزهرة كانت معبودات رئيسية في كل من : العراق والشام ومصر ، وسائر أنحاء الجزيرة في مختلف أدوار التاريخ القديم ، وكان الشعب العربي في العراق يُسمّي القمر (سين) ، والشمس (شمشا) والزهرة (عشتار) وكان الشعب العربي في الشام يُسمّي الزهرة عشتروت " ([20]) وهذه الآلهة الثلاثة تؤكد على أن العرب قد أولوا الأجرام السماوية عنايتهم ، وخصوها بالعبادة شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الأمم في تلك الحِقب التاريخية الموغلة في القِدَم .

وكان للشمس والقمر حضور بارز في الشعر العربي في العصر الجاهلي ، خاصة في لوحة المرأة : الغزل والنسيب والرحلة ،

---

[19] – د/ إبراهيم عبد الرحمن محمد : التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي – مجلة فصول – ص ١٢٩

[20] – أحمد مغنية : تاريخ العرب القديم – ط١/١٩٩٤م – دار الصفوة – بيروت – ص ١٣٠ .

أو صورتها الجمالية عندما كانوا يشبهونها بالشمس تارة ، وبالقمر تارة أخرى ، ومن ثمة كانت هناك علاقة وثقى بين الشمس والقمر والمرأة هذه العلاقة التي حدتْ بالبعض إلى اعتبار المرأة معبودة من بين المعبودات العربية القديمة اتكاءً على ما ورد في بعض الأخبار التاريخية والآثار الحجرية وبقايا المعابد الوثنية القديمة عند العرب في شمال الجزيرة وجنوبها ، وتلك العلاقة سوف نقف متريثين أمامها ؛ لأن المرأة كانت واحدة من الدلالات التي ربطتها المعاجم العربية بالدالة اللغوية **شمس** ٠

وعندما نبحث عن توظيف الشمس في شعر أبي العلاء المعري ، سوف نبدأ بالحديث عن سياقاتها في ديوانه سقط الزند الذي نظم جل ما جاء فيه في فترة شبابه التي شهدت من بين ما شهدت تجاربه الغزلية والمدحية والرثائية ، وما ألمّ به من الفخر ، وقد كان لكل ذلك دوره في توظيف الشمس في شعره من سقط الزند ، ثم نثنّي بعد ذلك بالحديث عن توظيف دالة الشمس في ديوانه اللزوميات الذي مثّل " حياة عقله ووجدانه وخلقه أحسن تمثيل "([٢١]) حيث جاء نظمه في الطور الثالث من أطوار حياته ، بعدما استقر في داره بمعرة النعمان ، وإبّان عودته من بغداد وحتى مماته ، ليشهد فكره وفلسفته في الحياة وفي الوجود ٠

[٢١] – د/ طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء – ط٥/١٩٥٨م – دار المعارف – القاهرة – ص١٩٣ ٠

١. الشمس في سقط الزند :

١- ١- الغزل :

ارتبط الغزل في الشعر العربي القديم بالمرأة قبل أن يمتد إلى المذكر أو الغلمان بعد طغيان تيار اللهو والمجون عند بعض الشعراء العباسيين الماجنين أمثال بشار بن برد وأبي نواس ووالبة بن الحباب وصالح بن عبد القدوس ومسلم بن الوليد والحسين بن الضحاك وحماد عجرد ، أوغيرهم ممن لم يُشغف بالغلمان . الشغف الذي اشتهر به هؤلاء المذكورون . من مثل البحتري وأبي تمام وعبد الله بن المعتز ٠

والغزل هو محادثة النساء ومفاكهتهن (٢٢) وهو كما يرتبط أساسًا بالمرأة ، يرتبط كذلك في اللغة بالشمس التي يُطلَق عليها عند ارتفاع النهار الغزالة (٢٣) وهي الشمس عند طلوعها ، أو أنها وقت طلوع الشمس ، ومنها الغزل ، وهذا الربط اللغوي بين الغزالة والغزل قد يُبين العلة في كثرة تشبيه الشعراء العرب للمرأة بالغزالة ، وهو ما يستدعي تقديس العرب في الجاهلية للمرأة (٢٤) ٠

وتقديسهم . كذلك . للغزالة ، ربما كان له مردود ديني جاهلي حيث ارتبط بما ورد حول قصة تجديد حفر بئر زمزم على يد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد النبي محمد صلى عليه وسلم فقد

---

٢٢ – ابن دريد : جمهرة اللغة – تحقيق وتقديم د/ رمزي منير بعلبكي – ط١/ ١٩٨٧م – دار العلم للملايين – بيروت – ٢/ ٨١٩ – مادة غزل ٠

٢٣ – كراع النمل : المنتخب من غريب كلام العرب – تحقيق د/ محمد بن أحمد العمري – ط١/ ١٩٨٩م – مركز إحياء التراث الإسلامي – جامعة أم القرى – السعودية – ١/ ٢٨٣ – مادة غزل ٠

٢٤ – لابد من الإشارة هنا إلى أن قضية وأْد البنات التي اشتهرت عن العرب لم تكن منتشرة عند العرب جميعهم ٠ انظر ما كتبناه حول ذلك في كتابنا : الشمس في الشعر الأموي بين الرؤية الميثولوجية والدينية ص ٢٠ ٠

عثر عبد المطلب في أثناء توغله في حفر زمزم على غزالتين ذهبيتين كانت قبيلة جرهم قد دفنتهما ([٢٥]) في هذا المكان ذي المرجعية الدينية عند الهاشميين خاصة والعرب عامة ، ووجود الغزالتين الذهبيتين دليل على تقديسهما ٠

وقد وظف أبو العلاء المعري دالة الشمس في سياق الغزل ، وذلك في مواضع قليلة من شعره في ديوان سقط الزند ، من بينها قوله عن هذه المرأة التي سماها سُعدى [طويل] ([٢٦]) :

لَعَلَّ نَوَاهَا أَنْ تَرِيعَ شَطُونُهَا
وَأَنْ تَتَجَلَّى عَنْ شُمُوسٍ دُجُونُهَا
بِنَا مِنْ هَوَى سُعْدَى الْبَخِيلَةِ كَاسْمِهَا
إِذَا زَايَلَتْهُ عَيْنُ سُعْدَى وَسِينُهَا

لقد مُني بهجر سُعدى وأصابه داء هجرها ، هذا الداء الذي عبر عنه في البيت الثاني تعبيرًا لغويًّا دالاً على مكنته من اللغة ، عندما يحذف من الدالة سُعدى العين والسين ؛ ليتبقى دا وهو الداء بعد حذف همزته المتأخرة حذفًا ضرورة شعريَّة ؛ ولذلك تمنى عودة ما مُني به من الهجر إلى الوصال ؛ ولذا ذهب يشبه جمال النساء وحُسْنهن بالشموس ، وشبه الموانع التي حجبتهن ومنعت الوصول إليهن بالدجن الذي يمنع الشمس من الظهور ([٢٧]) والصورة هنا مما ينتمي إلى الاستعارة التصريحية التي يذكر فيها المشبه به . شموس . ويختفي المشبه ؛ وذلك للتركيز على المشبه به بما له من حضور في وصف

---

[٢٥] – ابن كثير : البداية والنهاية – تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي – ط١/ ١٩٩٧م – هجر للطباعة والنشر والتوزيع – الجيزة – مصر – ٣/ ٣٣٩ ٠

[٢٦] – المعري : سقط الزند – شروحه للتبريزي والبطليوسي والخوارزمي – تحقيق مصطفى السقا ورفاقه بإشراف د/ طه حسين – ط٣/١٩٨٦م – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٨٨٩/٢ ٠

[٢٧] – السابق ٨٩٠/٢ ٠

جمال النساء وحسنهن ، وبما له من ظهور ووضوح حتى وإن أخفته الدجون وهي الغيوم المنتشرة في السماء ؛ لأن للشمس وضاءة ونورًا لا يخفيه شيء ، كذلك كانت النساء من الحسن والوضاءة بحيث لا يحجبه شيء ، أو كأن الشمس هي التي تزيل تلك الغيوم ، فيبدو من ثمة أثرها ونورها الذي يضيء الكون ، وكذلك جمال النساء وحسنهن ووصالهنّ يضيء القلب ويسلبه الهموم والأحزان ٠

وفي سياق الهجر والبين يستدعي المعري أثره على المرأة التي يبدو أنها بادلته التأثر بالفراق ، فأخذت في البكاء ، يقول المعري [طويل] ([٢٨]) :

نَسِيتِ مَكَانَ الْعِقْدِ مِنْ دَهَشِ النَّوَى
فَعَلَّقْتِهِ فِي وَجْنَةٍ وَمَسِيلِ
وَكُنْتِ لِأَجْلِ السِّنِّ شَمْسَ غُدَيَّةٍ
وَلَكِنَّهَا لِلْبَيْنِ شَمْسُ أَصِيلِ

إن الصورة التي يقدمها المعري في البيت الأول من الجدة والابتكار بحيث لم يُسبق إليها في نظر البطليوسي ([٢٩]) فهو يصور المرأة وقد طار لُبُّها من أثر الفراق فنسيت المكان الذي تعلق فيه عقدها وكان بكاؤها الشبيه بالدر . العقد . قد جرى وسال على وجنتها ، فكأنه لشبهه بالدر العقدُ ، وهي صورة ربما بدا فيها بعض الإغراب الناتج عن التداخل التشبيهي الذي يبدو على هذا النحو :

العِقد = دُرٌّ . مُضمَر . ، الدمع . مُضْمَر . يشبه الدر . مُضْمَر . ومن ثمة فإن الدمع المضمر سياقًا = العقد أيْ يُشبه العِقد المذكور ، ويكون الرابط بين الطرفين المكان وهو الوجنة مسيل الدمع ، وفي البيت الثاني يستدعي التشبيه البليغ ليشبه المرأة بشمس الغداة . غُدَيّة .

---

[٢٨] – شروح سقط الزند ٣/١٠٤٢– ١٠٤٣ ٠
[٢٩] – السابق ٣/١٠٤٣ ٠

للدلالة على حداثة سنها الذي ناسبه تصغير الغداة ، وفيه دلالة على جمالها ووضاءتها الشبيهة بوضاءة الشمس أول النهار ، وهي وضاءة قد يشوبها شيء من الحمرة التي تعلو الشمس عند الأصيل ،وكأن الشمس عندما تقترب من المغيب تكتئب ويتغير لونها إلى حمرة الشفق مثلما يتغير لون المرأة عند الإحساس بالفراق ، ومن ثمة كان تشبيهه إياها بالشمس عند الأصيل ٠

والصورة هنا وإن كانت بصرية خالصة حيث استدعاء الشمس والألوان باعتبارها مُدركًا بصريًّا خالصًا إلا أنّ " الصور البصرية ليست معدومة وجدانيًّا لدى المكفوف ، وذلك بفضل الحياة الاجتماعية فقد ينتقل جانب من تأثيرها الوجداني بوساطة الألفاظ التي تعبر عنها إلى الشخص المكفوف " (٣٠) وليست الحياة الاجتماعية وحدها التي يرجع إليها الفضل في الصور البصرية عند المعري ، وإنما يدخل معها الثقافة اللغوية الواسعة التي شُهِر بها المعري إلى جانب ثقافته الشعرية الواسعة علمًا ونقدًا واستظهارًا لأشعار السابقين وذلك ما يبدو في تناصاته مع الشعراء السابقين ، واستشهاده بشعرهم في مؤلفاته المتعددة ٠

ويربط المعري بين الدمع والدرِّ ، وتشبيه المرأة بالشمس فيقول [طويل] (٣١) :

تُحَلِّي النَّقَا دُرَّيْنِ : دَمْعًا وَلُؤْلُؤًا
وَوَلَّتْ أَصِيلاً وَهْيَ كَالشَّمْسِ مِعْطَالِ

إنها امرأة جميلة قد جمَّلت الرمل . النقا . بنوعين من الدُّرِّ أولهما دمعها الأبيض الصافي ، وثانيهما عقدها الذي تتزين به ، وهو عقد ذو حبات اللؤلؤ وقد تناثر منها عند لقاء حبيبها أو أنها هي التي

---

٣٠ – د/ عبد الفتاح صالح نافع : الصورة في شعر بشار بن برد — دار الفكر للنشر والتوزيع – عَمّان١٩٨٣م – ص ١٠٠ ٠

٣١ – شروح سقط الزند ١٢٣٦/٣ ٠

فرطت حباته ونثرته آسفة على الفراق ، وعندما ولّت بالأصيل دون زينة عقدها لم تكن عُطلاً من الجمال ؛ لأنها كالشمس جميلة وليس بها زينة تزينها ٠

ويقول عن زيارة المحبوبة [متقارب] ([٣٢]) :

تَوَقَّتْكَ سِرًّا وَزَارَتْ جِهَارَا
وَهَلْ تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلاَّ نَهَارَا

إن الاستفهام الذي أتى به في عجز البيت ما هو إلا تقرير للصورة التشبيهية التي يقدمها لهذه المرأة : إنها شمس ، وهو في الآن عينه تعليل لدلالة الصدر ؛ إذ تجنبت زيارته ليلاً حيث عادة لقيا الحب والغرام في الذاكرة الشعرية العربية القديمة ، وزارته جهرة في النهار . على غير ما هو شائع . لأنها شمس والشمس لا تطلع إلا بالنهار ، والصورة هنا فيها من الذكاء الإبداعي ما يدع الفرصة أمام المتلقي لاستكناه العلاقات بين طرفيها من حيث كانت مضمونية يعين السياق على فهمها ، وفي حوارية شعرية يقول المعري في سياق الدلالة نفسها [خفيف] ([٣٣]) :

حَيِّ مِنْ أَجْلِ أَهْلِهِنَّ الدِّيَارَا
وَابْكِ هِنْدًا لاَ النُّؤْيَ وَالأَحْجَارَا
هِيَ قَالَتْ لَمَّا رَأَتْ شَيْبَ رَأْسِي
وَأَرَادَتْ تَنَكُّرًا وَازْوِرَارَا
أَنَا بَدْرٌ وَقَدْ بَدَا الصُّبْحُ فِي رَأْ
سِكَ وَالصُّبْحُ يَطْرُدُ الأَقْمَارَا
لَسْتِ بَدْرًا وَإِنَّمَا أَنْتِ شَمْسٌ
لاَ تُرَى فِي الدُّجَى وَتَبْدُو نَهَارَا

---

[٣٢] – شروح سقط الزند ١١٧٣/٣ ٠
[٣٣] – شروح سقط الزند ٦٥٢/٢ ٠

إن المفارقة الضدية بين دلالة البدر على صِغَر المرأة ، ودلالة الشيب على كِبَر الرجل وضعفه ربما قد تكشف ما يذهب إليه البعض من سوء علاقة المعري بالنساء وسوء ظنه بهنّ ، واعتقاده نُدرة العفة فيهن ([٣٤]) إن المرأة في هذه الأبيات تُعَيِّره بظهور الشيب الذي يشبه الصبح في رأسه ، وهي نفسها . المرأة . شبيهة بالبدر ، والصبح والبدر لا يجتمعان ، بل يطرد الصبح . الشيب . القمر . المرأة . بيد أنه عندما يتلقى هذه المحاجة المنطقية التي تقوم على علاقة استنتاجية هي حجاجية في المقام الأول ؛ لأن الحجاج " فن الانتقال من فكرة إلى أخرى بشكل منظم وميسر ، وذلك أن للقوانين المنطقية خاصية نظامية من جهة ، وهي من جهة أخرى تعبير عن بعض أشكال أو عادات التفكير " ([٣٥]) .

ويمكن ترتيب الحجج التي وردت في بيت أبي العلاء على النحو التالي :

- **أنا بدرٌ**
- **الشيب صبحٌ**
- **الصبح يطرد البدر . الأقمار .**

وهذه المقدمات الثلاث تؤدي إلى نتيجة واحدة في نظر المرأة وهي انفصام علاقتها بالشاعر الذي ينقض هذه النتيجة أو لا يتقبلها على النحو التالي :

- **أنتِ لستِ بدرًا**
- **أنتِ شمسٌ**
- **الشيب كالصبح حيث الشمس موجودة**

---

[٣٤] – د/ طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء – ص ٣٠٠ .

[٣٥] – د/ سامية الدريدي : الحِجَاج في الشعر العربي – بنيته وأساليبه – ط٢/٢٠١١م – عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن – ص٣٣٩ .

وعلى ذلك تكون الشمس . المرأة . متوازية مع الشيب . في نظره ـ ومن ثمة تكون النتيجة التي تؤدي إليها هذه المقدمات في نظر الشاعر هي : استمرار علاقته بالمرأة ، أو إصراره على مد حبل وصلها رغم تعييرها إياه بالشيب ٠

وقد يتعدى تصوير المرأة بالشمس سياق الغزل فيأتي به الشاعر في سياق مدحي إذا كانت المرأة ممن لهن من المكانة الدينية أو الاجتماعية ما يدفع الشاعر لمدحهن بعيدًا عن الجو الغزلي وما يستدعيه من عاطفة نحوها ، وقد تكون المرأة من أهل الممدوح ، فيكون تصويرها بالشمس مدحًا لها وللممدوح في آنٍ معًا كقوله في التهنئة بالزفاف [سريع] ([٣٦]) :

زُفّتْ إِلَى دَارِكَ شَمْسُ الضُّحَى
وَحَوْلَهَا مِنْ شَمَعٍ أَنْجُمُ
مِثْلُ شِيَاتٍ فِي قَمِيصِ الدُّجَى
زِينَ بِهِنَّ الْفَرَسُ الأَدْهَمُ

حيث يستدعي المزفوفة ليشبهها بشمس الضحى في إطار الاستعارة التصريحية للدلالة على جمالها ووضاءة وجهها ، تلك الوضاءة التي تتناسب وما في الظلام من لمعان للنجوم يضيئه ويزينه كتلك الشيات في الفرس الأدهم ، وربما بدا في الصورة السابقة إغراب من حيث الزمن الدال على الليل . أنجم . والنهار . شمس الضحى . إلا أنها تكشف عن سر جمال المرأة الهادئ في دلالة الضحى ، وقيمتها في المكان وهو الدار ٠

ولعلنا فيما سبق من صورة المرأة المشبهة بالشمس ،أو صورة الشمس المشبهة بالمرأة نسترجع ما شاع في الشعر الجاهلي من تصوير المرأة بالشمس والبدر والمهاة والغزالة ،ومن ثمة استدراك فكرة

[٣٦] – شروح سقط الزند ٨٤٦/٢ ،الشيات جمع شية وهي لُمعة تخالف لون الفرس

العلاقة الميثولوجية بين الشمس والمرأة ،من حيث كانت المرأة معبودة والشمس معبودة ،وكانت المرأة والغزالة والمهاة رموزًا أرضية للمعبودة الأم/الشمس([٣٧]) لذا فقد أكثر الجاهليون من تشبيه المرأة بالشمس ، وبالقمر. البدر . استدعاءً لدلالات الحُسْن والجمال والوضاءة والخصوبة التي أولاها الميثولوجيون عنايتهم في دراساتهم حول الشعر الجاهلي.

وربما كانت العلاقة بين المرأة والشمس ذات مرجعية لغوية فيما قدمنا من دلالات الشمس في اللغة ، وإن كنا نميز من بينها فكرة الجمال والحُسْن والوضاءة ، دون أن نتطرق إلى فكرة التقديس الشعري للمرأة الذي ربما ساغ مع غير المعري من الشعراء ؛ لما عرف عنه من سوء علاقته بالمرأة . كما ذهب طه حسين . ذلك السوء الذي يدفعنا إلى تفهم القلة المتبدية للصورة الغزلية للمرأة في شعره ، تلك القلة التي لم يفرد لها سياقًا خاصًّا ، وإنما كانت . غالبًا . في سياقات أخرى كالمدح وغيره ، وهو ما دفع البعض إلى وصف غزله بأنه " ظاهر الصناعة قليل الرونق ، ولا ينتظر ممن كان كالمعري غزلٌ خارج من قلب متأثر بجمال الحبيب " ([٣٨]) والصناعة في الغزل وقلة الرونق هو استنتاج لما قاله طه حسين من قبل في شأن النسيب عند أبي العلاء : " نظلم أبا العلاء إن وصفناه بإجادة الغزل ، وإنما هو رجل ضرير مفجَّعٌ قد ملكه الزهد وحالتْ فلسفتُه بينه وبين لذات الحياة " ([٣٩]) .

وإذا كنا في هذا البحث غير معنيين بتقييم الفن الغزلي عند أبي العلاء رغم ما عرضنا له من بعض ابتكاراته واختراعاته الفنية في سياق تصوير المرأة بالشمس ، وهو ما يرتبط بعقليته الفذة وثقافته الفائقة ، لا نستطيع أن نتغافل عن تأثير العصر الذي انتمى إليه

---

[٣٧] – د/ علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري – ط٢/١٩٨١م– دار الأندلس – بيروت – ص ٦٩ .

[٣٨] – أنيس المقدسي : أمراء الشعر العربي في العصر العباسي – ط١٧/١٩٨٩م – دار العلم للملايين – بيروت – ص ٤٠٢ .

[٣٩] – د/ طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء . سابق . ص ٢١٧ .

والتقاليد الشعرية الموروثة ممن سبقوه ؛ لأن أدبه " متأثر بالتقاليد الأدبية في عصره ، وملتزم بالأصول الفنية التي ورثها الشعر في عصره " ([٤٠]) ومن هذه التقاليد تشبيه المرأة بالشمس ، ومن ثمة لا يمكن أن يكون فقد البصر حائلاً دون الإجادة أو الإبداع ، أو حتى دون الشعور بما يشعر به الرجال من عاطفة تجاه المرأة ، وقد حسم بشار بن برد . وهو الضرير . القضيةَ عندما قال [بسيط] ([٤١]) :

يَا قَوْمُ أُذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ
وَالأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَـــا

وإن كان العشق هنا متعلقًا بحاسة السمع التي تُعين المكفوف على تصور جمال المرأة من خلال صوتها ، دون حاسة البصر المتعلقة بالمرئي وهو الشمس ، ومع ذلك فإن مخزون الذاكرة الشعرية الموروثة هو ما أعان المكفوفين على استدعاء الصور البصرية للمرأة ، ولم يقف أمر هذه التقاليد الموروثة في شعر المعري على فن الغزل وحده ، وإنما امتد كذلك إلى غيره من فنونه الشعرية ٠

---

[٤٠] – د/ محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث – دار النهضة العربية – بيروت ١٩٧٩م – ص ١٣ ٠

[٤١] – بشار بن برد : ديوانه تقديم وشرح وتكميل محمد الطاهر بن عاشور – راجعه وصححه محمد شوقي أمين – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٦٦م – ١٩٤/٤ ٠

٢- **المدح** :

تبرز مع المدح العلاقات الاجتماعية بصورة واضحة بين الشعراء وغيرهم من أفراد المجتمع ، سواء كانوا في قمته أو غير ذلك ، وسواء كان المدح للتكسب أو لغيره ؛ وقد كان المعري كغيره من شعراء عصره والسابقين عليه قد وظف الدلالات المتوارثة في سياق المدح كما وظف الصور الفنية للممدوح ومن بينها استدعاء الشمس في مثل قوله [وافر] (٤٢) :

إِذَا خَفَقَتْ لِمَغْرِبِهَا الثُّرَيَّا
تَوَقَّتْ مِنْ أَسِنَّتِهِ اغْتِيَالاَ
وَلَوْ شَمْسُ الضُّحَى قَدَرَتْ لَعَادَتْ
مُشَرِّقَةً إِذَا رَأَتِ الزَّوَالاَ

حيث يقدم الممدوح في صورة المرهوب جانبه ؛ لقوته وشدة بأسه وحدّة أسنته ، تلك التي لا تقف عند الأعداء من الشيعة المغاربة وحدهم ، وإنما تمتد إلى النجوم العوالي ، فإن الثريا إذا غربت ، فإنما تغرب لأنها توقّتْ وهابتْ أن تغتالها أسِنَّتُهُ ، وكذلك الشمس لفرط محبته ورهبته إذا مالتْ للغروب ، فإنها تتمنى لو قدرت على العودة إلى الشروق ، لعادت فتكون مشرِّقةً أبدًا ؛ حتى لا تفارقه ، وتلك مبالغة شعرية ربما كانت مقبولة في سياق وصف الممدوح بالقوة والشجاعة .

ويقول [وافر] (٤٣) :

وَمُمْتَحِنٍ لِقَاءَكَ وَهْوَ مَوْتٌ
وَهَلْ يُنْبِي عَنِ الْمَوْتِ امْتِحَانُ
وَمُضْطَغِنٍ عَلَيْكَ وَلَيْسَ يُجْدِي

---

٤٢ – شروح سقط الزند ١/٨٦– ٨٧ .
٤٣ – شروح سقط الزند ١/١٨٦– ١٨٧ .

وَلاَ يُعْدِي عَلَى الشَّمْسِ اضْطِغَانُ

والمعري هنا كأنه يقول قول الفصل في شجاعة ممدوحه وقوة بأسه عندما يُذيِّل بيتيه بما ينتمي إلى الأحكام العامة التي لا يختلف عليها أحد ، فرب ممتحنٍ يريد امتحان شجاعة الممدوح وقوته في لقائه وهو لايدري أنه إذا لقيه قتل فلا يخبره الامتحان شيئًا ، ورب حاقد على الممدوح لا ينفعه حقده عليه ؛ لأنه كالشمس لا يؤذيها حقد حاقد .

ونحن إذ قلنا إن شعر المعري متأثر بالأصول الفنية الموروثة ، وأكدنا ذلك بشعره الغزلي ، فإننا نؤكد ذلك أيضًا من خلال شعره المدحي ، وإن من يتمعن الصورة التشبيهية في البيت الثاني من البيتين السابقين حيث يشبه استحالة تأثر الممدوح بحقد الحاقدين باستحالة تأثر الشمس بأي أذًى يلحقها ، ليصل في النهاية إلى تشبيه الممدوح بالشمس ، أقول إن مراجعة هذه الدلالات تشير إلى تناص المعري مع قولة أبي الطيب المتنبي في سيف الدولة [بسيط] ([٤٤]) :

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلاَ يَضَعُ

وربما كانت نظرة المعري التراثية في معناه السابق أقدم من المتنبي ؛ لأننا نجد الدلالة عينها عند زهير بن أبي سلمى في قوله من مدح سنان المري [بسيط] ([٤٥]) :

لَوْ كَانَ يَخْلُدُ أَقْوَامٌ بِمَجْدِهِمُ
أَوْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَيَّامِهِمْ خَلَدُوا
أَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ

---

[٤٤] – المتنبي : ديوانه بشرح العكبري – ضبط وتصحيح وفهرسة مصطفى السقا ورفيقيه – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٩٣٦م – ٢/٢٣٢ .

[٤٥] – زهير بن أبي سُلمى : شعره صنعة الأعلم الشنتمري – تحقيق د/ فخر الدين قباوة – ط٣/١٩٨٠م – دار الآفاق الجديدة – بيروت – ص ٢٢٧– ٢٢٨ .

قَـوْمٌ بِـأَوَّلِهِـمْ أَوْ مَـجْدِهِـمْ قَعَـدُوا

فـإن الدلالـة فـي بيـت المتنبـي وبيتـي زهيـر تسـتدعي تشـبيه الممدوحين بالشمس في إطار هذا التشبيه الضمني المستحضر صورة الطرفين وما يرتبط بها من دلالة مدحية متعلقة بالمجد والشرف وعلو المكانة وديمومة الذكر ٠

ويقول [خفيف] ([٤٦]) :

أَنْتَ شَمْسُ الضُّحَى فَمِنْكَ يُفِيدُ الصُّـ
ـبْـحُ مَـا فِـيـهِ مِـنْ ضِـيَـاءٍ وَنُـورِ

حيث نجده في هذه الصورة المنتمية إلى التشبيه المؤكد يقتصر على تشبيه الممدوح بشمس الضحى فيما تتركه من الضياء والنور ، بل لعله قد بالغ وجعل ضياء الصبح مستفادًا من ضياء هذا الممدوح ونور وجهه ، ويقول [خفيف] ([٤٧]) :

أَنْتَ كَالشَّمْسِ فِي الضِّيَاءِ وَإِنْ جَاوَزْ
تَ كِـيـوَانَ فِي عُـلُـوِّ الْـمَـكَـانِ

وربما كانت هذه الصورة التشبيهية قليلة الماء والرونق . كما يقول البلاغيون . ؛ لأنها صورة تقريرية مدرسية . إن جاز التعبير . من حيث تفصيلية التشبيه باستدعاء عناصره كاملة من حيث المشبه . أنتَ ـ والمشبه به . الشمس ، وأداة التشبيه وهي الكاف ، ثم وجه الشبه . الضياء . المسبوق بدالة الجر ***في*** ، ودلالتها على انحصار المشابهة بين الطرفين في أمر واحد وهو الضياء ، وبالرغم من ذلك التفصيل التقريري فإن استدعاء وجه الشبه دال على ما يتمتع به الرجل من وضاءة الوجه وبياضه ٠

---

[٤٦] – شروح سقط الزند ٢٢٩/١ ٠

[٤٧] – شروح سقط الزند ٤٥١/١ ، كيوان : هو زُحَل وهو موجود في الفلك السابع ، وأما الشمس ، فإنها في الرابع ٠

ويقول في تهنئة بعض الشعراء [بسيط] ([48]) :

وَقَدْ تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْفَهْمَ مُلْتَهِبًا
مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَنَارِ الْفُرْسِ فِي السَّذَقِ
أَيْقَنْتُ أَنَّ حِبَالَ الشَّمْسِ تُدْرِكُنِي
لَمَّا بَصُرْتُ بِخَيْطِ الْمَشْرِقِ الْيَقَقِ

حيث يقدم صورة بصرية خالصة استطاع . رغم آفته . أن يغزل خيوطها ، ويربط بين طرفيها ، أولهما : معرفته التامة . فراسةً . بنبوغ الممدوح الواضح وضوحَ النار التي يوقدها الفرس في عيد السَّذَق ([49]) وثانيهما : إدراكه مطلع الشمس عند ضياء الفجر . خيط المشرق . ليستنبط المتلقي . ذهنيًّا . أن ذكاء الممدوح ونباهته شبيهة بخيوط الفجر ؛ وأن مَن ينظر إلى نباهة الممدوح وفطنته صغيرًا ، سوف يُدرك ما سيصل إليه عندما يكبر ، وهي دلالة يتناص فيها المعري مع أبي تمام في قوله [كامل] ([50]) :

إِنَّ الْهِلاَلَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلاَ

وإن اختلف السياق بينهما من حيث كان رثاءً لابنَيْ عبد الله بن طاهر عند أبي تمام ، ومدحًا عند أبي العلاء ، وربما كان هذا الاختلاف سببًا فيما بدا من مرونة اللغة وسرعة استنباط الدلالة عند أبي تمام ؛ لأنه يرثي ولا يحتاج الرثاء إلى التفنن في البناء الشعري ، وهو ما رأيناه عند المعري في استدعائه المعرب . السذق . والتنافر

---

[48] – شروح سقط الزند ٢/٦٧٥– ٦٧٦ ، السذَق : من أعياد الفُرس ومن طقوسهم فيه إضاءة النار ليلاً ، اليقق : الأبيض .

[49] – السذق : كلمة فارسية معربة من معانيها ليلة الوقود ، وهو من أعياد العجم ، انظر : الأزهري : تهذيب اللغة – تحقيق عبد العظيم محمود – الدار المصرية للتأليف والترجمة – د.ت – ٨/٣٩٧ مادة سذق .

[50] – أبو تمام : ديوانه بشرح التبريزي – تحقيق محمد عبده عزام – ط٣/١٩٨٣م – دار المعارف – ٤/١١٥ .

الصوتي . اليقق . حيث كرر صوت القاف مرتين دون فاصل بينهما مما أدى إلى الثقل الصوتي ([٥١]) وتبدي الصنعة في استخدام الخيط مع الحبال ، إلى جانب ما في بيتيْ أبي العلاء من التجنيس بين تفرست والفرس ، والتصوير الفني المتكئ على التشبيه بالأداة ، أو بغير الأداة في حبال الشمس ، أو الضمني المستنبط من الدلالة التي قدمها أبو العلاء في البيتين ، وذلك على النحو الذي قمنا بتحليله من خلال طرفي الصورة التشبيهية ٠

ويقول مادحًا [وافر] ([٥٢]) :

وَشِعْرُكَ لَوْ مَدَحْتَ بِهِ الثُّرَيَّا
لَكَانَ لَهَا عَلَى الشَّمْسِ افْتِخَارُ

والصورة هنا في إطار التشبيه الضمني حيث يشبه قيمة شعره وعُلُوِّ مكانته بعُلُوِّ الثريا ومكانتها التي تفخر بها على الشمس ٠

ويقول المعري في السياق نفسه ، وفي إطار التشبيه الضمني [وافر] ([٥٣]) :

جَمَالُ الْمَجْدِ أَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ
وَلَوْلاَ الشَّمْسُ مَا حَسُنَ النَّهَارُ

إن صورة التشبيه الضمني مركبة في البيت من القِران بين جمال المجد والثناء عليه ، فلولا الثناء على الممدوح ما حسن جمال مجده ، وبين حُسْن النهار وضياء الشمس ، فلولا ضياؤها ما شعر المرء بحُسْن النهار ، ومن ثمة ، فإنه يشبه جمال المجد المقرون بالثناء ، بحُسْن النهار لضياء الشمس فيه ٠

---

[٥١] – د/ جاسم سليمان الفهيد : التوظيف الفني للكواكب والنجوم في شعر أبي العلاء . سابق . ص ٣٣ ٠

[٥٢] – شروح سقط الزند ٨١٠/٢ ٠

[٥٣] – السابق ٨١٤/٢ ٠

وعندما يُرسِل السلام إلى ممدوحه ، يرسله بهذه الصورة الفنية المبتكرة [طويل] ([54]) :

سَـــــلامٌ هُـــوَ الإِسْـلامُ زَارَ بِـلادَكُــــمْ
فَـفَــاضَ عَــلَى السُّـنِّـيِّ وَالْمُـتَـشَـيِّـعِ
كَشَمْسِ الضُّحَى أَولاهُ فِي النُّورِ عِنْدَكُـمْ
وَأَخْـرَاهُ نَـــارٌ فِي فُـؤَادِي وَأَضْـلُـعِـي

فإنـه يُضـمِّن سـلامه إلـيهم كـل معـاني الرحمـة والأمـان وبـرد السـلامة المسبوغة علـى الجميـع سـواء كـانوا مـن أهـل السُّـنَّة أو مـن الشـيعة ، وهـو سـلام يشـبه فـي خروجـه بعاطفـة متأججـة تلهـب قلبـه وأضلعه شمسَ الضحى بما فيها من النور والدفء اللذين تملأ بهما الأرض ومن عليها .

وعندما يبنـي الممدوح بيتًا ، يضـمنه كـل مـا يـدلل علـى عُلُـوِّ مكانته وسُمُوِّ شرفه ورفعته وعزته ، ومن ثم يكون وصف ذلك البيت المبني إنما هو وصف مدحيّ لصاحبه ، وهذا ما يبدو في قول أبي العلاء [وافر] ([55]) :

بَـنَـى مِـنْ جَـوْهَـرِ الْعَلْيَـاءِ بَيْتًا
كَـأَنَّ النّـَيِّـرَاتِ لَـــهُ عِـمَـــادُ
إِذَا شَمْسُ الضُّحَى نَظَرَتْ إِلَيْـهِ
أَقَــرَّتْ أَنَّ حُـلَّـتَـهَـا حِـــدَادُ

فقـد بلـغ هـذا البيـت مـن العُلُـوِّ والشـرف أن صـارت الكواكـب المنيرة كأنها الأعمدة التي بُنِي عليها ، وليس التشبيه بالنيرات في العلوّ وحده ، وإنما في النور كذلك ، ذلك النور الذي يتضاءل أمامه نور شمس الضحى التي تُقِرّ أن ضياءها بالنسبة إلى نور البيت كالثياب

[54] – السابق ٤/١٥٤٥ .
[55] – شروح سقط الزند ١/٢٩١ .

السود يلبسها المرْء عند الحداد ، ولا شك أن وصف البيت بهذه الصورة إنما هو مدح لصاحب البيت بالنور والوضاءة والشرف وعُلُوِّ المنزلة لأن شرف البيت من شرف صاحبه ٠

ويقول المعري في سياق المدح أيضًا [منسرح] ([٥٦]) :

هَذَا هُوَ الْمَوْتُ كَيْفَ تَغْلِبُهُ
وَفَضْلُهُ الشَّمْسُ كَيْفَ تَجْحَدُهَا

حيث يخاطب عدو الأمير هذا الخطاب الذي بلغ من المبالغة حدًّا قد يُستنكر فيه قول الشاعر ، وهو إنما بالغ هذه المبالغة ؛ ليكفه عن مقارعة الأمير الذي يشبهه بالموت ولا يستطيع أحد قهره ، ويشبه فضله بالشمس مستنكرًا على العدو أن يُنكر هذا الفضل الشبيه بالشمس التي لا يجحدها أحد ٠

ويقول [بسيط] ([٥٧]) :

أَرَى جَبِينَكَ هَذِي الشَّمْسَ خَالِقُهَا
فَقَدْ أَنَارَتْ بِنُورٍ عَنْهُ مُنْعَكِسِ

فهو يرى أن جبين هذا الممدوح منيرٌ ، وقد بالغ المعري في هذه الصورة عندما جعل نور الشمس مستمدًّا من نور وجهه المنعكس عليها ، فنورها مستعار من نور وجهه ، ولعل المعري بهذه الدلالة يكون قد تناص مع قول المتنبي في تهنئة سيف الدولة الحمداني بعيد الفطر [بسيط] ([٥٨]) :

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ وَالأَعْيَادُ وَالْعُصُرُ
مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

---

[٥٦] – شروح سقط الزند ٨٢٩/٢ ٠
[٥٧] – السابق ٧٠٢/٢ ٠
[٥٨] – ديوان المتنبي بشرح العكبري . سابق . ٩٧/٢ ٠

وقوله في مدح سيف الدولة الحمداني الذي عاتبه على تأخره عنه [بسيط] ([٥٩]) :

تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَالِعَةً
كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُورَهُ الْقَمَرُ

حيث جعل المتنبي في البيت الأول كل شيء منيرًا بسيف الدولة : الصوم والفطر والأعياد والأيام لياليها وأنهُرها . العُصُر . وكذلك الشمس والقمر ، وفي البيت الثاني نراه يجعل اكتساب الشمس نورهَا حال طلوعها من نور سيف الدولة ، كما يتكسب القمر نوره من نور الشمس ، ومن ثمة فالأمير الحمداني نور بل هو مصدر نور تلك الظواهر الطبيعية ، والدلالة عند المتنبي فيها من المباشرة والسهولة ما ينأى بها عما في بيت المعري من بعض التكلف الذي يبدو في مصراعه الأول ٠

ومع سيرورة جلة شعر المعري عن الشمس في ركاب التقاليد الشعرية وهو ما بدا في تناصاته مع الجاهليين والإسلاميين ، نراه يوظف ملكته اللغوية البارعة في استدعاء بعض أسماء الشمس في المعجم العربي ، وذلك في سياق المدح من مثل قوله [وافر] ([٦٠]) :

وَيُوشَعُ رَدَّ يُوحًا بَعْضَ يَوْمٍ
وَأَنْتَ مَتَى سَفَرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا

واسم الشمس الذي أتى به المعري في البيت هو يُوح عند اللغويين ([٦١]) والشاعر هنا يصف ممدوحه بوضاءة الوجه ، فاستدعى لهذه الوضاءة الشمس . يوح . ولا يقنع بهذا الاستدعاء اللغوي ، وانما يستدعي حافظته الدينية متناصًّا مع قصة نبي الله يوشع بن نون الذي

---

[٥٩] – ديوان المتنبي بشرح العكبري ٩٩/٢ ٠
[٦٠] – شروح سقط الزند ٢٧٨/١ ٠
[٦١] – ابن منظور : لسان العرب – ٦٣٩/٢– ٦٤٠ – مادة يوح ٠

دعا الله تعالى أن يحبس الشمس فلا تغيب حتى يفرغ من قتال أعدائه ، وقد استجاب الله تعالى له ([٦٢]) والمعري بهذا الاستدعاء يشير إلى مكانة الممدوح وجمال وجهه الذي ينير المكان عندما يسفر عنه أو يكشفه ، وكأنما بذلك الكشف يكون قد رد الشمس بعد مغيبها ، مثلما رُدت الشمس مجازًا ليوشع بن نون ٠

ويقول [طويل] ([٦٣]) :

وَهَلْ يَدَّعِي اللَّيْلُ الدَّجُوجِيُّ أَنَّهُ
يُضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ شُهْبُ ظَلاَمِهِ

إن الشهب وهي الكواكب لا تضيء الليل ، فإذا ادعى غيرهم المكرمات ، فإنهم لا يققونها بأنفسهم ؛ لأن الكواكب لا تضيء ظلمة الليل الدجوجي . المظلم . بنورها وإنما بما تستمده من نور الشمس ، والمراد أن غير هؤلاء الممدوحين لا يفعلون ما يحقق لهم الكرم والمجد مثلما يفعلون هم ٠

وفي ضياء ما قدمنا من شعر المعري المدحي الذي وظف فيه الشمس نراه لم يخرج عن الدلالات التي وظف فيها الشعراء السابقون دالة الشمس فسياق المدح من حيث تشبيه الممدوح في جمال وجهه ونوره ، وفضله بالشمس التي تجيء كذلك في سياق دلالة الشجاعة والقوة ورهبة الجانب ، ورغم ارتباط دلالاته المدحية بالسابقين ، فقد كانت له بعض الخصوصية والابتكارية في بعض الصور ، وفي التراكيب الشعرية التي بدت الشمس فيها أقل من الممدوح ، أو ربما بدت مأزومة لعدم قدرتها على مسايرة الممدوح في فضله وشعره وما يبنيه من البيوت ٠

---

[٦٢] – انظر نَص الحديث في : فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني – تصحيح وتحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز – المكتبة السلفية – د٠ت – ٦٢٢٠ ٠

[٦٣] – شروح سقط الزند ٤٨٦/٢ ٠

٣- **الفخر** :

في المدح كانت الغيرية بادية في خطاب المعري للآخر الممدوح ، حيث إنه تحدث عنه بضمير الغائب . هو . أما في الفخر ، فتبرز فيه الذاتية حيث الأنا المتعالية أو المعتزة بنفسها ، أو الأنا الجمعية . نحن . ومحورية الخطاب عليهما ، وهو ما يمكن التماحه في قول ابن رشيق : إن الفخر " هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه ، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار " (٦٤) ومن أجل ما فيه من ذاتية الأنا وجماعية النحن ارتكز الخطاب فيه على " التغني بالفضائل والمُثُل العُليا والتباهي بالسجايا النفسية ، والصفات القومية ، والزهو بالفِعال الطيبة " (٦٥) التي قد تكون للجماعة ، وقد تكون للفرد الذي إذا لهج بذكرها كان ذلك من باب الذاتية المطلقة التي لا تكون إلا للشاعر وحده دون غيره من الناس (٦٦) .

والمعري شأنه شأن غيره من الشعراء السابقين قد تغنى مفتخرًا غناءً ذاتيًّا خالصًا من مثل قوله في توبيخ حاقديه [طويل] (٦٧) :

وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْبِلاَدِ فَمَنْ لَهُمْ
بِإِخْفَاءِ شَمْسٍ ضَوْؤُهَا مُتَكَامِلُ

حيث نراه يجمع في بيته بين بنيتيْ الخبر التقريري المؤكد بدالة التوكيد والتحقيق قد ، وبنية الاستفهام الحاملة لدلالة النفي والإنكار على هؤلاء الحاقدين أن يُخفوا ضوء الشمس المتكامل ، ويمكن أن

---

٦٤ – ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – ط٥/١٩٨١م – دار الجيل – بيروت – ١٤٣/٢ .

٦٥ – د/ يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه – ط٥/١٩٨٦م – مؤسسة الرسالة – بيروت – ص ٣٠٠

٦٦ – ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٢٥/١ .

٦٧ – شروح سقط الزند ٥٢٣/٢ .

نلحظ في بنيته العميقة صورة تشبيهية تنصرف إلى تشبيه شهرته الساطعة بضوء الشمس ، وكلاهما مما لا يمكن إخفاؤه ، ولعل المعري بدلالته تلك يكون متناصًّا مع قول الأحوص [كامل] ([٦٨]) :

إِنِّي إِذَا خَـفِيَ اللِّئَـامُ رَأَيْتَنِي
كَالشَّمْسِ لاَ تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانِ

ورغم اختلاف دالة اللئام في المصادر القديمة بين الكرام والرجال والجناة ، إلا أن في دلالة المعري على الشهرة والذيوع من جودة الصياغة وجمال التركيب ما يخفف من وطأة تقليده للسابقين ، على أنه قد يكون متناصًّا مع قول بشار بن برد [بسيط] ([٦٩]) :

أَنَا الْمُرَعَّثُ لاَ أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ
ذَرَّتْ بِيَ الشَّمْسُ لِلْقَاصِي وَلِلدَّانِي

وفي الدلالة نفسها يقول المعري [وافر] ([٧٠]) :

وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ أَمَدِي سَيَلْقَى
دُوَيْنَ مَكَانِيَ السَّبْعَ الشِّدَادَا
يُؤَجِّجُ فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ نَارًا
وَيَقْدَحُ فِي تَلَهُّبِهَا زِنَادَا

حيث يبدي الذاتية أو النرجسية المانعة من دخول الغير في مجال الدلالة ، بل يصف الحاقد عليه بالحمق من خلال الصورة التشبيهية التي يعمد فيها إلى انتفاء أي ذِكْرٍ مع ذكره ، أو فضلٍ مع فضله ، وأن الذي يقدح في ذكره وفضله كالذي يوقد نارًا في شعاع الشمس ، فالنار لا ضوء لها مع وجود الشمس ، ومن يفعل ذلك يكون

---

[٦٨] – الأحوص : شعره – جمع وتحقيق عادل سليمان حمودة – تقديم د/ شوقي ضيف – ط٢/١٩٩٠م – مكتبة الخانجي – القاهرة – ص ٢٥٧ .

[٦٩] – ديوان بشار بن برد . سابق . ٢١٥/٤ .

[٧٠] – شروح سقط الزند ٥٦٥/٢ .

قد بلغ منه الحمق مبلغه ، وهنا نجد المعري يتناص دلاليًّا مع الأمثال العربية حيث نجد من بينها : " **أضيع من سراج في شمس** " ([71]) وبذلك لا يفخر المعري بشهرته وفضله فحسب ، وإنما يجعل الحاقدين دونه في الفضل والمكانة والعقل ٠

وأما إذا أدخل الذات الجمعية في خطابه الفخري ، فإنه يستحضر معها ذاته أو يُذيبها في ذات الجماعة بحيث يكون الخطاب هو المجموع وليس الفرد وذلك قوله [وافر] ([72]) :

مَتَى نُصْبِحْ وَقَدْ فُتْنَا الأَعَادِي
نَقُمْ حَتَّى تَقُولَ الشَّمْسُ رُوحَا
بِأَرْضٍ لِلْحَمَامَةِ أَنْ تَغَنَّى
بِهَا وَلِمَنْ تَأَسَّفَ أَنْ يَنُوحَا

وهذا القول قد تخدعنا بنيته السطحية بدلالات الخوف والجزع ، بيد أن بنيته العميقة تشير إلى غير ذلك حيث الذكاء الذي يتحين فرصة الفوت من العدو ، والذكاء في اختيار مكان الإقامة ، والجَلَد على مواصلة السُّرى والسهر وترك الاستراحة من ألم السفر ، وأما صورة الشمس التي استدعاها المعري ، فإنها كانت معينة أو مرشدة لهم على السير وذلك حين انكسار حدّتها وذهبت وقدتها ٠

ويقول في وصف حالته وأصحابه [كامل] ([73]) :

وَلَقَدْ أَظَلُّ تُظِلُّنِي وَصَحَابَتِي
وَالشَّمْسُ مِثْلُ الأَخْزَرِ الْمُتَشَاوِسِ
خَيْلٌ شَوَامِسُ فِي الْجِلاَلِ إِذَا هَفَتْ

---

[71] – الثعالبي : التمثيل والمحاضرة – تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو – الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م – بيروت – ص ٢٢٦ ٠

[72] – السابق ١/٢٤٥ ٠

[73] – السابق ١/٤٠٧– ٤٠٨ ٠

رِيــحٌ وَإِنْ رَكَــدَتْ فَـغَيْرُ شَـوَامِـسِ

إن الفخر في البيتين بثيابهم التي يستظلون بها من حرارة الشمس حيث يعلقونها فوق الرماح والقسي ، فتبدو كالأخبية المضطربة بفعل الريح اضطراب الخيل الشوامس أو الجموح ، أما إذا هدأت الريح ، فإن الأخبية تسكن ، فتكون غير شوامس ، والشوامس تلتقي مع الشمس في الجذر اللغوي شمس ، بيد أنه يشبه الشمس عندما تميل إلى الغروب بعين الأخزر وهو الذي ينظر بمؤخر عينه ، والمتشاوس الذي يغلق إحدى عينيه وينظر بالأخرى ويميل وجهه في شق العين التي ينظر بها ، وفي هذا التشبيه نرى المعري متناصًّا مع أبي النجم العجلي في قوله [رجز] ([٧٤]) :

حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ اجْتَلاَهَا الْمُجْتَلِي
بَـيْـنَ سِـمَـاطَيْ شَـفَقٍ مُـهَـوِّلِ
فَهْيَ عَـلَى الأُفْـقِ كَـعَينِ الأَحْوَلِ
صَغْـوَاءَ قَـدْ كَـادَتْ وَلَمَّـا تَفْعَلِ

وهي صورة بديعة ، والبدع فيها هو تشبيه الشمس عندما ينظر الناظر إليها ، وقد مالت أو كادت تميل نحو الغروب . صغواء . حيث ناحيتا الشفق . سماطي . وقد تلونت بألوان مختلفة ما بين الحمرة والخضرة والصفرة . مهوِّل . بعين الأحول الذي يبدو سواد عينه مائلاً عن منتصف العين ، وإن كان المعري قد تميز من سلفه أبي النجم بالجمع بين الأخزر والمتشاوس في تشبيه الشمس عند ميلها للغروب للتأكيد على حالتها في ذلك الوقت .

وعلى هذا النحو يكون المعري قد وظف دالة الشمس في سياق الفخر غير منفصل عن السابقين فيما أراده من دلالات فخرية كالشرف

---

[٧٤] – أبو النجم العجلي : ديوانه – جمع وشرح وتحقيق د/ محمد أديب عبد الواحد جمران – مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق ٢٠٠٦م – ص ٣٥٨– ٣٥٩ .

والفضل والشهرة والجَلَد والذكاء ، وذلك في تناصه الشعري مع الأحوص وبشار بن برد ، والنثري مع المثل الذي لا يقف عند حد ما تنتجه بنيته السطحية من دلالة ، وإنما ما تنتجه بنيته العميقة من دلالة لا تنفصل والسياق .

٤- **الرثاء** :

وهو فن البكاء على الميت وذرف الدموع اللفظية التي كأنما تعطيه حياة جديدة من خلال استدعاء ما كان يتمتع به من الصفات والخصال الحميدة ، ومن ثمة كان " تأبين الميت . رثاؤه . إنما هو بمثل ما كان يُمدح به في حياته " ([٧٥]) وذلك ما يستدعي كل شيء متعلق بالمرثي الذي يؤثر موته في كل مَنْ حوله ، وعلى ذلك قد لا نجد الشعراء في مراثيهم يوجهون خطابهم الرثائي نحو الميت وحده ، وإنما قد يتوجهون به إلى من حوله ممن تأثروا بموته ، من هذا قول أبي العلاء [سريع] ([٧٦]) :

إنَّ الَّذِي الْوَحْشَةُ فِي دَارِهِ
تُؤْنِسُهُ الرَّحْمَةُ فِي لَحْدِهِ
لاَ أَوْحَشَتْ دَارُكَ مِنْ شَمْسِهَا
وَلاَ خَلاَ غَابُكَ مِنْ أَسْدِهِ

فالخطاب في البيت الأول خطاب عام . وإن جاء في سياق الرثاء . لأنه ينحو منحى الحكمة ، أو المسلَّمات التي تبوح بنيتها السطحية بتأكيد حقيقة ارتباط وحشة الدار برحمة القبر ، بينما تبوح بنيتها العميقة بالدعاء والتفاؤل للمخاطَب الذي يخصه بالخطاب في البيت الثاني من خلال ضمير الخطاب الذي يتوسط المصراعين اللذين

٧٥ – قدامة بن جعفر : نقد الشعر – تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي – ط١/١٩٧٨م – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – ص ١١٨ .
٧٦ – شروح سقط الزند ١٠٢٧/٣ .

يصور في أولهما المخاطب . أخا المرثي . بالشمس في بهائه داعيًا له ألا تخلو داره منه . بالموت . فتوحش أو تُظْلِم بغيبته ، بينما يدعو له في المصراع الثاني بعدم خُلوِّ بيته . غابه . منه أو من أهله الذين يشبههم بالأسود في استدعاء مراعاة النظير بين الغاب والأُسد ، وهنا أيضًا لا نعدم ما تستدعيه دلالة البنية العميقة من تشبيه الميت بالأسَد الذي رحل بالموت ، فكان الدعاء بألا يرحل غيره من الباقين من أهل البيت .

وعندما يرثي الطاهر الموسوي ، يتحدث إلى أهله فيقول [كامل] ([٧٧]) :

مَـا زَاغَ بَيْتُكُـمُ الرَّفِيـعُ وَإِنَّمَـا
بِالْـوَجْـدِ أَدْرَكَـهُ خَفِيُّ زِحَـافِ
وَالشَّمْسُ دَائِمَةُ الْبَقَاءِ وَإِنْ تَنَلْ
بِالشَّكْوِ فَهْيَ سَرِيعَةُ الإِخْطَافِ

إنه يخاطب أهل الميت مسليًّا إياهم في مصابهم الجلل ، بيد أنه يحاول أن يخفف من وطأة المصاب ، فيسليهم بأن بيتهم لم يتأثر بموت الفقيد ؛ بسبب شرفه وثبات قواعده ، وإنما حاله بفقد أبيهم شبيه ببيت الشعر إن أصابه زحاف ([٧٨]) بذهاب حركة أو ساكن ، فهو لا يتأثر به ، ويصور المعري صورة هذا البيت الذي لم يتأثر بموت الطاهر الموسوي بصورة الشمس قد يصيبها الكسوف فيحجبها ، بيد أنه لا يدوم إذ سرعان ما تعود إلى طبيعتها ، ومن ثمة كان تشبيهه البيت بالشمس ، وقد تأثر بموت صاحبه ، لكنه يعود إلى طبيعته من الشرف والعُلوِّ بعد انتهاء الحزن عليه .

---

[٧٧] – شروح سقط الزند ٣/١٣٠٣– ١٣٠٤ .

[٧٨] – الزحاف في علم العروض تغيير مختص بثواني الأسباب الخفيفة أو الثقيلة ، وله أنواع . انظر د/ محمد إبراهيم عبادة : معجم النحو والصرف والعروض والقافية – ط١/٢٠١١م – مكتبة الآداب – القاهرة – ص ١٤٩– ١٥٠

ويقول في رثاء أبيه [طويل] ([٧٩]) :

عَلَى أَمِّ دَفْـرٍ غَضْبَةُ اللهِ إِنَّهَـــا
لَأَجْـدَرُ أَنْثَى أَنْ تَخُـونَ وَأَنْ تُـخْـنِي
كَعَابٌ دُجَاهَـا فَرْعُهَـا وَنَـهَارُهَـــا
مُحَيًّا لَهَا قَامَتْ لَهُ الشَّمْسُ بِالْحُسْنِ

وقد بدت في مرثيته هذه عاطفته الحزينة لفقد أبيه ، ومظهر الحزن في هذين البيتين هو ذمه الدنيا . أم دفر . والدعاء عليها بغضب الله تعالى ؛ لأنها الأحق بالخيانة والإهلاك والخداع للبشر ؛ ولذلك يشبهها بامرأة كاعبٍ شعرها أسود فاحم كالدجى وهو الظلام ، ووجهها من الضياء والجمال الذي تسبغه الشمس عليه ، ومن ثمة فإن الشمس في سياق هذه المرثية مؤكدة لما في الدنيا المذمومة من الخيانة والخداع والإهلاك المستدعي لدعائه عليها في ظل عاطفة الحزن على الوالد الفقيد ٠ ويرثي أبا إبراهيم العلوي ،فيقول [طويل] ([٨٠]) :

نَعَيْنَـاهُ حَـتَّى لِلْغَزَالَـةِ وَالسُّهَـا
فَكُلٌّ تَمَنَّى لَوْ فَدَاهُ مِنَ الْحَتْـمِ

والغزالة هنا هي الشمس سُميت بذلك ؛ لأنها تطلع في غزالة النهار أي أوله ، وقيل لأنها تمد حبالها ، فكأنها غزل لها ، والسها كوكب ، واستدعاء الشمس والكوكب ، ونعي الشاعر الميت لهما دلالة على عُلوّ مكانته ،وجدارته بأن يُنعى إلى النجوم والكواكب ٠

ويبدو مما سبق من توظيف الشمس في شعر الرثاء عند المعري أنه عندما أتى بالشمس في سياق الرثاء لم ينص صراحة على تشبيه المرثي بالشمس استدعاءً لما كان حال حياته اتكاءً على كون

---

[٧٩] – شروح سقط الزند ٩١٢/٢ ، أم دَفْرٍ : كُنية الدنيا ، والدفر هو النتن ، تُخني : تُهلك ، دجاها : ظلامها ، كعاب : الفتاة قد كعب نهدها عند البلوغ ٠

[٨٠] – السابق ٩٦٦/٣ ، السها : كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم ٠

الرثاء فنَّ ما كان ، وإنما أتى بالشمس تشبيه لأهل الميت أو وصفً لبيته ، أو بثها في سياق صورة الدنيا المذمومة ، أو الإشارة الخفية إلى عُلُوّ قدر المرثي ومكانته ٠

٥- <u>الوصف</u> :

يرتبط الوصف بنقل الصورة المرئية أمام الشاعر إلى صورة كلامية يستعيض بها المتلقي عن الرؤية العينية الآنية للمشهد الموصوف ، ومن ثمة كان " أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانًا للسامع " ([٨١]) تمثيلاً قد تتبدى معه عاطفة الشاعر وأحاسيسه تجاه ما يصفه ، وقد لا تتبدى بحيث يكون الشاعر مجرد ناقل لما يراه ، وفي كل الأحوال يشير فن الوصف إلى الرابطة التي تربط الشاعر بالمتلقي ، وكلما كان المشهد الموصوف من الدقة والجمالية بحيث يستثير مشاعر المتلقي وعواطفه ، كانت الرابطة بينه وبين الشاعر قوية ، وكانت حيوية النص الشعري وثراؤه ٠

وقد شمل فن الوصف كل ما تقع عليه عين الشاعر من مظاهر حسية مادية ، أو ما يحسه من عواطف معنوية مجردة ، وعلى ذلك فقد دخل الوصف كل فنون الشعر العربي " فالمدح وصف نُبل الرجل وفضله ، والنسيب وصف النساء والحنين إليهن والشوق إلى لقائهن ، والرثاء هو وصف محاسن الميت وتصوير آثاره وأياديه ، والهجاء وصف سوءات المهجوّ وتصوير نقائصه ومعايبه " ([٨٢]) ومن ثمة لم يكن غريبًا ما قاله ابن رشيق القيرواني : إن " الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف " ([٨٣]) ٠

---

[٨١] – ابن رشيق القيرواني : العمدة في صناعة الشعر ونقده . سابق . ٢/ ٢٩٤ ٠

[٨٢] – عبد العظيم علي قناوي : الوصف في الشعر العربي – الجزء الأول : الوصف في الشعر الجاهلي – ط١/ ١٩٤٩م – مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة – ص ٤٣ ٠

[٨٣] – ابن رشيق القيرواني : العمدة . السابق . الموضع نفسه ٠

وإذا كنا قد أشرنا إلى الصورة المرئية ، وما تقع عليه عين الشاعر ، فإننا لا نقصر ذلك على الشعراء المبصرين وحدهم ، وإنما يشمل كلامنا أكِفَّاء البصر من الشعراء الذين يستعيضون بما يملكون من ملكة الثقافة بأشعار الآخرين ، وملكة الإحساس بالواقع ، وملكة الخيال القادرة " على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحواس " ([٨٤]) وخاصة حاسة البصر التي تُعد المعبر الرئيس للمدركات الحسية إلى العقل المبدع الذي يصوغها في قوالب فنية يدركها المتلقي ويستمتع بها ٠

وقد جمع أبو العلاء هذه الملكات جميعها وقدم صورًا وصفية دالة على المهارة الإبداعية التي تميز بها ، وقد تنوع السياق الوصفي للشمس حيث قدم المعري مجموعة من الصور الوصفية التي بدت فيها الشمس ممثلة الطرف الأول من طرفي الصورة الفنية ، أو ممثلة الطرف الثاني ، أو أنه يأتي بها في السياق الوصفي لتوضح صورة مدرك من المدركات التي يستدعيها إلى السياق سواء كانت هذه المدركات حسية أو مجردة وذلك ما نتناوله فيما يلي :

يقول أبو العلاء عن الشمس في يوم حرب [طويل] ([٨٥]) :

بِيَوْمٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ فِيهِ خَرِيدَةٌ
عَلَيْهَا مِنَ النَّقْعِ الأَحَمِّ لِثَامُ

لقد أثار الْتحام الجيشين الغبار الذي ملأ الأفق وستر الشمس وأخفى ضوءها بحيث بدت في مخيلة الشاعر كأنها امرأة حيية وعلامة حيائها ما تضعه من لثامٍ على وجهها ، وتلك صورة الشمس التي صورها المعري لتتحول الشمس إلى هذه الصورة البشرية ، صحيح أن

---

[٨٤] – س موريس بورا : الخيال البدائي – ضمن كتاب الخيال ، الأسلوب ، الحداثة – اختيار وترجمة وتقديم د/ جابر عصفور – ط٢/٢٠٠٩م المركز القومي للترجمة – القاهرة – ص ٩ ٠

[٨٥] – شروح سقط الزند ٦٠٦/٢ ٠

الصورة المأثورة هي تشبيه المرأة بالشمس ، لكنه قلب التشبيه واستدعاه إلى سياق الحرب في صورة قد لا تتآلف وجو الحرب ، بيد أن المخيلة المتكئة على السماع لتجارب الآخرين قد وجهت الشاعر نحو مثل هذا التصوير الذي ينتمي إلى الصور البصرية أكثر من انتمائه إلى الحواس الأخرى ، بيد أن الشاعر الكفيف قد ينجح " نجاحًا عظيمًا في نقل صور لا يستطيعها إلا المبصر ، ولعل مرد ذلك إلى المعاني والصور التي يختزنها الذهن على مر السنين ، والتي تأتيه من المجتمع ومن تجارب الشاعر الشخصية " ([٨٦]) ٠

ويصف أثر الشمس على لون الماء فيقول [طويل] ([٨٧]) :

يُخَلْنَ سَمَامًا فِي السَّمَاءِ إِذَا بَدَتْ
لَهُنَّ عَلَى أَيْنٍ سَمَاوَةُ مَوْرِدِ
تَظُنُّ بِهِ ذَوْبَ اللُّجَيْنِ فَإِنْ بَدَتْ
لَهُ الشَّمْسُ أَجْرَتْ فَوْقَهُ ذَوْبَ عَسْجَدِ

وهذا الوصف مرتبط بالحالة النفسية للإبل العطشى التي تُسرع نحو مورد الماء ، فتبدو كأنها طير مسرع في السماء ، وعندما تقترب من الماء تحسبه لبياضه فضةً . اللجين . فما بالها عندما تسقط عليه الشمس فتحيل آنئذٍ لونه إلى صفرة العسجد . الذهب . وبياض الفضة وصفرة الذهب مما ينتمي إدراكيًّا إلى حاسة البصر ، ولكن المعري قد وظف في هذا التصوير الوصفي ملكته الثقافية ومعارفه العقلية ؛ ليخرج صورة الماء المتأثر بالشمس على هذا النحو الذي ربط فيه بين صورة الماء وحالة الإبل ٠

---

[٨٦] – د/ عبد الفتاح صالح نافع : الصورة في شعر بشار بن برد . سابق . ص ١٠٢ ٠

[٨٧] – شروح سقط الزند ١/٣٧٠ ، سمَامًا : ضرب من الطير سريع ، أيْن : تعب وإعياء ٠

ويوظف معرفته بعلم الفلك والنجوم والكواكب ومنازلها فيقول عن البدر في سياق الحديث عن الليلة الطويلة [بسيط] ([88]) :

كَأَنَّمَا هِيَ إِذْ لاَحَتْ كَوَاكِبُهَا
خَوْدٌ مِنَ الزِّنْجِ تُجْلَى وُشِّحَتْ خَضَضَا
كَأَنَّمَا النَّسْرُ مَقْصُوصٌ قَوَادِمُهُ
فَالضَّعْفُ يَكْسِرُ مِنْهُ كُلَّمَا نَهَضَا
وَالْبَدْرُ يَحْتَثُّ نَحْوَ الْغَرْبِ أَيْنُقَهُ
فَكُلَّمَا خَافَ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى رَكَضَا

وتتجلى هذه المعرفة في استدعائه بعض الدوال التي تنتمي إلى عالم الفلك من ذلك الكواكب وهي معروفة ، ومنها النسر ، وهما نسران أحدهما يقال له الواقع ، وثانيهما يقال له الطائر ([89]) ولعله المراد هنا في بيت أبي العلاء ، والإشارة إلى اقتصاص قوادمه استدعاء للطائر الأرضي المعروف ، وفي اقتصاص ريشه دلالة على عدم قدرته على الطيران ومن ثمة البطء الذي يتواءم وبطء الليلة وعدم انقضائها ، ومن هذه الدوال الأينق التي هي قلاص الدبران وهو كوكب أحمر منير وحوله مجموعة من الكوكب يقال لها قلاصه ([90]) والقلاص هي الأينق الفتية ، وانتماء هذه الدوال إلى عالم الفلك مستنبط من دلالة البيت الثالث الذي يشير فيه إلى حث البدر الأينق نحو الغروب ؛ وكلما خاف أن تلحقه شمس الضحى ركض ٠

---

[88] – السابق ٢/٦٥٧– ٦٥٨ ، خوْدٌ : فتاة شابة ، تُجْلى : تُبرز ، خضضا : خرز أبيض تضعه المرأة على وشاحها ، قوادمه : الريش الطوال في مقدم الجناح ، يحتث : يكد ويسرع ويستحث ، أينق : جمع ناقة ، ركض : الركض هو استحثاث الفرس للنهوض ٠

[89] – ابن قتيبة : الأنواء في مواسم العرب – دار الشئون الثقافية – بغداد ١٩٨٨م – ص ١٥٥

[90] – السابق ص ٤٤ ٠

ويقول المعري عن الفارس وفرسه وما بينهما من علاقة قوية [بسيط] ([٩١]) :

مِنْ كُلِّ أَزْهَرَ لَمْ تَأْشُرْ ضَمَائِرُهُ
لِلَثْمِ خَدٍّ وَلاَ تَقْبِيلِ ذِي أَشُرِ
لَكِنْ يُقَبِّلُ فُوهُ سَامِعَيْ فَرَسْ
مُقَابِلِ الْخَلْقِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

حيث نجده يوائم بين طبيعة الفارس الوضيء الوجه . أزهر . ببحثه عن معالي الأمور وترفعه عن الانشغال بالنساء . لثم الخد . أو تقبيل الشبان ذوي الأُشر في أطراف أسنانهم ، وهذا الفرس الذي يكرمه بتقبيل سامعَيْه . أُذُنيه . مجازاة له على حُسن سيرته معه ولزومه في حله وترحاله ،ثم يصف الفرس بأن لونه يجمع بين شُقرة الشمس، وحجول القمر أو بياضه ،وهو وصف لوني خالص يجمع بين الشُّقرة أو صُفرة الشمس والبياض في مرادفاته الأزهر والقمر ،ومصدر هذا الوصف اللوني بلا شك راجع إلى المعارف الثقافية المتعلقة بالتصوير البصري تلك التي يبدو أن أبا العلاء قد برّ فيها أقرانه من الشعراء المكفوفين ([٩٢]) وكذلك المقدرة العقلية الفذة والخبرة الشعرية ، ولا نستبعد دور المخيلة الفنية القادرة على جمع هذه المتباعدات والتقريب بينها في إطار الصورة الكاشفة عن جمال الفرس الذي يستدعي جمال فارسه الأزهر الوجه ،ويصف الدرع فيقول [كامل] ([٩٣]) :

مَجَّتْ عَلَى الأَرْضِ الْغَزَالَةُ رِيقَهَا
فَأَقَامَ بَيْنَ وُهُودِهَا وَتِلاَعِهَا

---

[٩١] – شروح سقط الزند ١٤٤/١ ، لم تأشر : لم تفرط في النشاط ، أُشُر : تحزيز في أطراف الأسنان وهو يدل على الشباب .

[٩٢] – د/ عبد الله الفيفي : الصورة البصرية في شعر العميان – دراسة نقدية في الخيال والإبداع – ط/١٩٩٦م – النادي الأدبي بالرياض – السعودية – ص ٢٩

[٩٣] – شروح سقط الزند ١٩٨٥/٥ .

والغزالة اسم من أسماء الشمس على نحو ما مرّ معجميًّا ، وهو هنا يشبه الدرع في صفائها بشعاع الشمس عند ارتفاعها في أول النهار . الغزالة ٠ ويقول في لمعان الدرع أيضًا [طويل] (٩٤) :

إِذَا أَلْقِيَتْ فِي مَهْمَهٍ تَحْتَ حِنْدِسٍ
تَخَيَّلْتَ أَنَّ الشَّمْسَ لاَحَ صَدِيعُهَا

فإنه يقدم هذه الصورة الذهنية المتكئة على أسلوب الشرط في صورة بصرية حسية يستطيع المتلقي بربطه بين أطرافها أنْ يدرك أنَّ هذه الدرع من اللمعان بحيث إنها تبدو في المكان الشاسع . مهمه . وتحت ظلمة الليل كالصبح في لمعانه ٠

ولا يقف التصوير الوصفي في شعر المعري عند المدركات الحسية وحدها ، وإنما يمتد كذلك إلى المدركات العقلية أو المجردات التي لا تُدرك بأية حاسة من الحواس البشرية ، من ذلك وصفه للخيالات في قوله [طويل] (٩٥) :

وَنَحْنُ بِمُسْتَنِّ الْخَيَالاَتِ هُجَّدٌ
وَهُنَّ مَوَاشٍ مِنْ بَطِيءٍ وَمُسْرِعِ
شُمُوسٌ أَتَتْ مِثْلَ الأَهِلَّةِ مَوْهِنًا
فَقَامَتْ تَرَاعَى بَيْنَ حَسْرَى وَظُلَّعِ

حيث يصور الخيالات الجميلة التي تطرقه بالليل فتمنعه من النوم بالشموس في حسنها وبهائها ، ثم صور هذه الشموس بالإبل الظلع التي تغمز في مشيها وتعرج من التعب والإعياء الذي بدا في تقوس ظهورها بالأهلة ، وفي هذا التصوير المركب من القوة بحيث إنه أخرج ما لا يدرك بالحواس . الخيالات . إلى ما يُدرك بحاسة البصر .

---

٩٤ – شروح سقط الزند ١٩٩٣/٥ ، مهمه : صحراء ، حندس : الليل ، صديع الشمس : المراد به الصبح ٠

٩٥ – السابق ١٤٩٥/٤ ٠

الشمس . ثم الهلال في تقوسه وكأنه المجسد لصورة الإعياء التي كانت عليها الإبل بسبب طول السفر وكثرة السير ، ومن ثمة كانت هذه الإبل التَّعِبة معادلاً موضوعيًّا لحالة تعبه وإرهاقه وقلة نومه بسبب تلك الخيالات ٠

ويصف الليل المظلم وأثره على الشمس فيقول [وافر] ([٩٦]) :

دَجَـا فَـتَلَهَّبَ الْمِرِّيـخُ فِيـهِ
وَأَلْبَسَ جَمْرَةَ الشَّمْسِ الرَّمَـادَا

فهو يقفنا أمام دوال حركية لمدركات قد لا تدركها العين المجردة ، فما بالنا بفاقد البصر ؟ وهذه الدوال الحركية هي : دجا الليل أي أظلم واشتدت ظلمته ، وتلهب المريخ والمراد اشتدت نيرانه ؛ لأنه كوكب ناري ، ثم يأتي الفعل ألبس الذي يستدعي مُلبِسًا هو الليل وملبوسًا هو الشمس ، وملابس هي الرماد الذي يطفئ جمرة الشمس أو نارها ، وكل ذلك مرتبط بشدة ظلمة الليل الذي تبدو معه الشمس مأزومة مغلوبة على أمرها لا تستطيع الصمود أمام ظلمته الحالكة ، رغم أنهما لا يمكن عقلاً أن يلتقيا ، بيد أنها المخيلة الشعرية الجامعة بين المعاني المتباعدة في سياق الخلق والإبداع الشعري ٠

وعلى هذا النحو يكون أبو العلاء قد تناول في سياق الوصف مجموعة من المدركات الحسية كالشمس والماء والفرس والدرع ، وغير الحسية كالخيالات ، وثمة سياقات أخرى استدعى فيها دالة الشمس ، وإن لم تمثل حضورًا ملحوظًا من مثل الهجاء الذي لم نجد له فيه سوى بيت واحد يهجو فيه الروم فيقول [طويل] ([٩٧]) :

وَهَـلْ أَظْلَمَتْ سُحْمُ اللَّيَالِي عَلَيْكُـمُ
وَمَـا حَـانَ مِـنْ شَمْسِ النَّـهَـارِ زَوَالُ

---

[٩٦] – السابق ٢/٧٩٣ ٠
[٩٧] – شروح سقط الزند ٣/١٠٥٦ ٠

فاستدعاء شمس النهار وعدم زوالها فيه مزيد من التقريع والسخرية بهؤلاء الروم الذين لقوا الهزيمة في وضح النهار الذي اشتد فيه غبار المعركة فأحاله كالليالي الشديدة السواد . سُحْم . على هؤلاء الروم ٠

ويقول في التهنئة بمولود [وافر] ([٩٨]) :

وَحَبْلُ الشَّمْسِ مُذْ خُلِقَتْ ضَعِيفٌ
وَكَمْ فَنِيَتْ بِقُوَّتِهِ حِبَالُ

وحبل الشمس هو ما يرى من شعاعها على هيئة خيوط دقيقة كأنها خيوط العنكبوت وتبرز بصورة واضحة في الفتحات التي تدلف الشمس من خلالها ، وهي خيوط ضعيفة ومع ذلك فإن لها من قوة الشمس ما فنيت بسببها الحبال المبرمة والأسباب المحكمة ٠

ويقول مستعطفًا امرأة [كامل] ([٩٩]) :

مُسِّي الْبَيَاضَ لَعَلَّ شَرْخًا عَائِدٌ
أَوْ عَلَّ نَشْرَكِ بِالْمَشِيبِ يَصُوكُ
إِنِّي إِذَا دَلَكَتْ بَرَاحِ قَبَضْتُهَا
بِالرَّاحِ كَيْمَا يَكُونَ دُلُوكُ

فهو يستعطفها أن تمس بياض شعره الدال على هرمه ، حتى يعود إليه شبابه ، أو تلتصق به رائحتها الطيبة ، وهو يدرك استحالة رجعة الشباب ولكنه التمني الذي يمارسه عند غروب الشمس . دلكت براحِ . الشمس . إذ يرفع درعه بقبضة يده وكأنه سيرد الشمس بلمعانها قبل الغياب ٠

---

[٩٨] – السابق ١٦٥٨/٤ ٠

[٩٩] – السابق ١٩٠٨/٥ ، شرخًا : المراد الشباب ، نشر : الرائحة الطيبة ، يصوك : يلتصق ، دلكت : غربت ، براحِ : الشمس ٠

الشمس في اللزوميات :

ذكرنا من قبل رأي الدكتور طه حسين في اللزوميات وهو ما قاله في كتابه تجديد ذكرى أبي العلاء ونضيف هنا ما قاله عنه في العدد الخاص بأبي العلاء من مجلة الهلال ، فقد قال صراحة عن اللزوميات : إنه كتاب فلسفي ، بل إنه ليتميز عن الفلسفة بكونه من الشعر ([١٠٠]) وإذا كانت دلالة الفلسفة تشير إلى الحكمة أو محبة الحكمة ، فإننا بالمثل نستطيع أن نقول إن المعري حكيم ، ولِمَ لا وهو حكيم المعرة فيما لُقِّب به ، وإن ديوان اللزوميات إنما هو ديوان شعر الحكمة العلائية التي استنبطها بعد طول عمر وخبرة تجريبية بالحياة ، وذاك ما جعلنا نسلك عددًا من الأبيات العلائية التي أتى فيها بدالة الشمس من خلال لزومياته في سياق غرض الحكمة وهو أحد أغراض الشعر العربي التليدة ، إلى جانب سياقات أُخر وردت فيها الشمس دالة شعرية وظفها أبو العلاء منتجًا من خلالها بعض الدلالات التي سوف نعرض لها في السطور التالية ٠

فمن توظيفه الشمس في سياق الحكمة قوله [طويل] ([١٠١]) :

إِذَا مَا حِبَالُ النَّاسِ عَادَتْ بَوَالِيًا
فَإِنَّ حِبَالَ الشَّمْسِ غَيْرُ بَوَالِ

والحكمة هنا مرتبطة بدلالة أسلوب الشرط على الارتباط التلازمي بين جملتَيْ الشرط والجزاء ، وتخالفهما في السلب والإيجاب بين البِلى الذي يصيب أسباب اتصال الناس بعضهم ببعض ، وقوة وثبات حبال الشمس التي ترى على هيئة خيوط كخيوط العنكبوت في أثناء الظهيرة حيث اشتداد حرارة الشمس ، فحبال الشمس . وقد يقال

---

[١٠٠] – د/ طه حسين : المعري شاعر أم فيلسوف – مجلة الهلال – جزء ٨ – السنة ٤٦/ عام ١٩٣٨م – ص ٨٤٩

[١٠١] – المعري : شرح اللزوميات – تحقيق زينب القوصي ورفاقها – إشراف ومراجعة د/ حسين نصار – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م – ٥/٣ ٠

لعاب الشمس . وإن كانت ضعيفة كما في سقط الزند ، وكذا في قوله [كامل] ([١٠٢]) :

غَلَتِ الشُّرُورُ وَلَـوْ عَـقَـلْنَـا صُيِّـرَتْ
دِيَـــةُ الْـقَتِيـلِ كَـرَامَـــةً لِلْقَاتِـلِ
هَـاذِي حِبَـالُ الشَّمْسِ وَهْيَ ضَعِيفَـةٌ
دَامَتْ وَكَـــمْ أَبْلَتْ حِبَـالَةَ خَـــاتِـلِ

فهي ضعيفة كخيوط العنكبوت ، بيد أنها شمسٌ تهلك كل شيء وكثيرًا ما أهلكت حبال مصيدة الصائد المخاتل المخادع ، ومن ثمة لا يجب احتقار جهد الضعيف ، ويقول عنها أيضًا [طويل] ([١٠٣]) :

نَعَمْ إِنَّهَـا الأَرْزَاقُ وَالْمَرْءُ جَاهِلٌ
يُهَذِّبُ مِنْ دُنْيَـاهُ مَـا لَـمْ يُهَذِّبِ
فَإِنَّ حِبَـالَ الشَّمْسِ لَسْنَ ثَوَابِتًـا
لِشَدِّ رِحَـالٍ أَوْ قَـوَابِـضَ جُـذِّبِ

حيث يصف حبال الشمس بالضعف وعدم القدرة على الرحيل والانتقال ، كما أن ليس لها القدرة على القبض والجذب ، وهكذا حال المرء مع الأرزاق لا يستطيع أن يجلب لنفسه ما ليس لها ؛ لأنها مقسومة ومقدرة . ويعقد مقارنة بين الفاجر والتقي الذي ينتصر له فيقول [بسيط] ([١٠٤]) :

طَلَبْتُـمُ الـزَّادَ فِي الآفَـاقِ مِـنْ طَمَـعٍ
وَاللهُ يُـوجَـــدُ حَقًّـــا أَيْنَمَـــا طُلِبَـــا
وَلَسْتُ أَعْـنِي بِـهَـذَا غَيْـرَ فَـاجِـرِكُمْ
إِنَّ الـتَّـقِيَّ إِذَا زَاحَـمْـتَـهُ غَلَبَـا

---

[١٠٢] – السابق ٣/٣٨ .
[١٠٣] – السابق ١/١٦٥ .
[١٠٤] – السابق ١/١٤١ .

كَالشَّمْسِ لَمْ يَدْنُ مِنْ أَضْوَائِهَا دَنَسٌ
وَالْبَدْرِ قَدْ جَلَّ عَنْ ذَنْبٍ وَإِنْ ثُلِبَا

وهو خطاب ساخر من طرائق الصوفية في العبادة والوصول إلى الله تعالى الموجود حيثما يطلبه عباده ، وليس بهذه الطرائق الصوفية التي يصف صاحبها بالفجور ، ويرجع محسورًا مغلوبًا إذا نافس الإنسان التقي الطاهر الذي يشبه الشمس لا يمكن أن يصيبها أو يدنو من أضوائها الدنس ، ويشبه البدر الذي يتعالى عن الذنوب ٠

ويوظف أبو العلاء الحكمة في سياق الوعظ والنصح فيقول [وافر] ([١٠٥]) :

إِذَا كَانَتْ لَكَ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ
فَلاَ تَأْخُذْ بِهَا أَبَدًا كَعَابَا
فَإِنْ كَانَتْ أَقَلَّ بَهَاءَ وَجْهٍ
فَأَجْدِرْ أَنْ تَكُونَ أَقَلَّ عَابَا
وَحُسْنُ الشَّمْسِ فِي الأَيَّامِ بَاقٍ
وَإِنْ مَجَّتْ مِنَ الْكِبَرِ اللُّعَابَا

وربما كانت النصيحة هنا مرتبطة بموقف المعري من المرأة وما يرتبط بها . في رؤيته . من الرزايا ، وليس الموقف من المرأة ، بل إنه ليتوجه إلى الرجل المتزوج بالعجوز ينصحه ألا يهجرها باحثًا عن الشابة التي تكعّب نهدها ، ويُعلل أبو العلاء نهيه في البيت الأول بما أتى في البيت الثاني ، وهو وإن كانت العجوز أقلَّ جمالًا ، فإنها أجدر بأن تكون أقل عيبًا ، وقد ذهب البعض إلى أن هذا العيب هو ابتعاد العجوز من الولادة والفجور ([١٠٦]) ، ولم يشر أبو العلاء من قريب أو

---

[١٠٥] – شرح اللزوميات ١/ ١٥٠ ٠

[١٠٦] – كمال خليل اليازجي : جولة في لزوميات المعري – الجامعة الأمريكية – بيروت ١٩٤٢م – ص ٢٠٧ ٠

بعيد في الأبيات السابقة إلى هذين العيبين ، بل أكد أن العجوز رغم العجز يكون فيها بقية من جمال ، فهي تشبه الشمس في قِدمها ومع ذلك فإن جمالها باقٍ على الأيام ، حتى وإن سال لعابها ، وهي خيوط الشمس أو حبالها التي أشرنا إليها من قبل على لسان أبي العلاء ٠

ويقول واعظًا [منسرح] ([١٠٧]) :

إِنَّ كُـؤُوسَ الْمُدَامِ تُشْبِهُهَـا السّـ
ـسُيُوفُ وَالْمَوْتُ فِي مَضَارِبِهَـا
شُمُوسُهَـا شَمْسُ بَـاطِلٍ شَرِقَتْ
فَـلاَ يَكُـنْ فُـوكَ مِـنْ مَغَارِبِهَـا

إن السيوف تشبه الخمر في إيقاع الموت . لأنها تؤدي إلى فقدان العقل أو السُّكْر . ، ولها جماح ؛ لأنها تجمح بشاربها ومن ثمة سُمِّيَتْ الشَّموس ، وشموسها أو جماحها يشبه شمس الباطل ، ومن ثم ينصح شاربها بالانتهاء عن شربها ؛ حتى لا يكون فمه سبب هلاكه ٠

ويقول عن حتمية الموت [وافر] ([١٠٨]) :

نُـحِبُّ الْـعَيْشَ بُغْضًا لِلْمَنَـايَـا
وَنَـحْنُ بِمَا هَوِينَا الأَشْقِيـاءُ
يَمُوتُ الْمَرْءُ لَـيْسَ لَـهُ صَفِيٌّ
وَقَبْـلَ الْيَوْمِ عَـزَّ الأَصْفِيَاءُ
أَتَدْرِي الشَّمْسُ أَنَّ لَهَا بَهَـاءً
فَتَأْسَفَ أَنْ يُفَارِقَهَا الإِيَـاءُ

ولعل هذا البيت الأخير الذي يتساءل فيه : هل تدري الشمس أن لها بهاءً وجمالاً ، ومن ثمة فإنها تحزن إذا ما فارقها ضوؤها . الإياء .

---

[١٠٧] – شرح اللزوميات ٢٠٦/١ ٠
[١٠٨] – شرح اللزوميات ٦٣/١ ٠

فهي وإن كان لها جمال ، فلا يصح أن تحزن لمفارقة الضوء عند المغيب أو عند الكسوف ، كذلك لا يجب أن يحب المرء الحياة كراهية للموت ؛ لأن حبنا للحياة هو الشقاء ، والموت هو الذي يبرز حقيقة الصداقة ، إذ لا يمكن للصديق أن يموت مكان صديقه ، ومن ثمة فإنه ليس هناك صديق أو خِلٌّ وفيٌّ ٠

ويقول عن حتمية الموت أيضًا مستخدمًا دالة الغزالة المرادفة للشمس في المعجم العربي [مجزوء الكامل] ([١٠٩]) :

لَـوْ كُـنْتُ كَـالْبَـدْرِ الْمُنِيـ ـرِ أَوِ الْغَزَالَةِ وَهْيَ أَكْبَرْ
لَـعَـلِمْتُ أَنّـِي لِلثَّـرَى أُدْعَـى وَأَنِّـي فِـيهِ أُقْـبَرْ

فإنه مهما كانت مكانة الإنسان عالية أو قيمته شريفة ، فإن له نهاية لا مفرّ منها وهي الموت حيث التراب وحيث القبر الذي سوف يُقْبر فيه ، ولأن الموت هو النهاية المحتومة ، لا يجب على الملوك أن يتقاتلوا على الملك ؛ لأنه لا شيء يدوم ، فالشمس تشرق ثم تغرب ورسل الموت تزور المرء كل لحظة ورسائلها تُذكِّر به ، يقول أبو العلاء [طويل] ([١١٠]) :

فَلاَ تَرْغَبُوا فِي الْمُلْكِ تَعْصُونَ بَالظُّبَا
عَلَيْـهِ فَـمِـنْ أَشْقَى الرِّجَـالِ مُلُوكُهَا
وَإِنَّ غُـرُوبَ الشَّمْسِ كُـلَّ عَـشِيَّـةٍ
يُحَـدِّثُ أَهْلَ اللُّبِّ عَنْـهُ دُلُوكُهَـا
وَمَـا فَتِئَتْ رُسْـلُ الْحِمَـامِ تَزُورُنَـا
إِذَا لَـمْ تُشَافِـهْ ذَكَّرَتْنَـا أَلُـوكُهَـا

[١٠٩] – شرح اللزوميات ٢/٢٦٩ ٠

[١١٠] – السابق ٢/٣٤٥ ، الظُّبا : مفردها ظُبة وهي حد السيف ، والمراد الحرب والقتال ، اللب : العقل ، دلوكها : غروبها ، مافتئت : ما زالت ، الحِمام : الموت ، تشافه ، تتحدث مشافهة أو تتكلم ، ألوكها : رسالتها والألوكة هي الرسالة ٠

فغروب الشمس هنا يومئ إلى المصير المحتوم ؛ لأن شروق الشمس دليل حياة وغروبها . دلوكها . على الضد منه ومن ثمة ليس من العقل أن يتقاتل الملوك للحصول على الملك ؛ لأنهم في الرؤية العلائية من أشد الرجال شقاءً ٠

وإذا كان الأمر على هذا النحو من حتمية الموت ، فإنه يحق لمن يهوى الحياة أن يبكي عليها ؛ لأنها لا تدوم ، وذلك قول المعري [طويل] ([111]) :

يَحُقُّ لِمَنْ يَهْوَى الْحَيَاةَ بُكَاؤُهُ
إِذَا لاَحَ قَرْنُ الشَّمْسِ أَوْ حِينَ تَغْرُبُ

وذكره طلوع الشمس ؛ لأنه يُذكر بما كان من غروبها ، ويستدعي الغروب كذلك فكرة الموت ، ومن ثمة كان الشروق والغروب دليلين على النهاية المحتومة ٠

وللشمس في اللزوميات مواضع أخرى وسياقات متنوعة وردت فيها ، منها الدلالة على أنها وغيرها من الأجرام السماوية ملك لله تعالى ، يقول أبو العلاء [خفيف] ([112]) :

لِلْمَلِيكِ الْمُذَكَّرَاتُ عَبِيدٌ
وَكَذَاكَ الْمُؤَنَّثَاتُ إِمَاءُ
فَالْهِلاَلُ الْمُنِيفُ وَالْبَدْرُ وَالْفَرْ
قَدُ وَالصُّبْحُ وَالثُّرَى وَالْمَاءُ
وَالثُّرَيَّا وَالشَّمْسُ وَالنَّارُ والنَّثْـ
ـرَةُ وَالأَرْضُ وَالضُّحَى وَالسَّمَاءُ
هَذِهِ كُلُّهَا لِرَبِّكَ مَا عَا
بَكَ فِي قَوْلِ ذَلِكَ الْحُكَمَاءُ

---

[111] – شرح اللزوميات ١٠٩/١ ٠
[112] – السابق ٦٨/١ ٠

وملكية هذه المخلوقات لله تعالى تشير إلى أنه لا تمييز بين هذا أو ذاك أو مذكر ومؤنث ، أو الملوك والعبيد ، وكذلك الأجرام السماوية ما كان منها مذكرًا كالهلال والبدر والفرقد والصبح والثرى والماء وما كان منها مؤنثًا كالثريا والشمس والنار والنثرة ([113]) والأرض والضحى والسماء ، والشمس شأنها شأن المخلوقات جميعها من الله تعالى وإليه سبحانه ، قال المعري [بسيط] ([114]) :

يَجُوزُ أَنْ تُطْفَأَ الشَّمْسُ الَّتِي وَقَدَتْ
مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَأَذْكَى نُورَهَا الْمَلِكُ
فَإِنْ خَبَتْ فِي طُوالِ الدَّهْرِ حُمْرَتُهَا
فَلَا مَحَالَةَ مِنْ أَنْ يُنْقَضَ الْفَلَكُ
مَضَى الأَنَامُ فَلَوْلاَ عِلْمُ حَالِهِمُ
لَقُلْتُ قَوْلَ زُهَيْرٍ : أَيَّةً سَلَكُوا
فِي الْمُلْكِ لَمْ يَخْرُجُوا عَنْهُ وَلاَ انْتَقَلُوا
مِنْهُ فَكَيْفَ اعْتِقَادِي أَنَّهُمْ هَلَكُوا

وليس المراد أن الشمس منذ عهد عاد ، وإنما المراد قِدمها ، وعاد يُضرب بها المثل في القِدم ، وإذا أطفئ نورها ، فذلك بأمر الله الملك الذي أشعل نورها ؛ لأن كل شيء منه وله ، وهو لا يقول مثلما قال زهير بن أبي سلمى [بسيط] ([115]) :

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ يَأْوُوا لِمَنْ تَرَكُوا
وَزَوَّدُوكَ اشْتِيَاقًا أَيَّةً سَلَكُوا

---

[113] –كوكب من كواكب السماء ، انظر : ابن قتيبة : الأنواء في مواسم العرب . سابق . ص ٥٨– ٥٩ .

[114] – شرح اللزوميات ٣٤٦/٢ .

[115] – شعر زهير . سابق . ص ٧٨ ، والمعنى : أن الأصحاب قد رحلوا بمن يحب ولم يرقوا لحاله أو يرحموه ، وزادوه اشتياقًا ولوعة في أية جهة سلكوها .

لأنه يعلم حالهم وما صاروا إليه ؛ لأنهم في ملك الله تعالى لم يخرجوا عنه ولم ينتقلوا منه ، ومن ثمة كان اعتقاده اليقيني بهلاكهم ٠ ولأن الشمس من مخلوقات الله تعالى يجري عليها ما يجري على الخلق ، فإن ما ذكره أمية ابن أبي الصلت من ضربها وإهانتها في قوله [كامل] ([١١٦]) :

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ
حَمْرَاءَ يُصْبِحُ لَونُهَا يَتَوَرَّدُ
لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ لَهُمْ فِي رِسْلِهَا
إِلاَّ مُعَذَّبَةً وَإِلاَّ تُجْلَدُ

إنما هو ضرب من الخرافة والأسطورة التي يبدو أنها دخلت إلى الحديث النبوي من الإسرائيليات ؛ ولذلك كذّب أبو العلاء ذلك في قوله [طويل] ([١١٧]) :

وَقَدْ كَذَبُوا حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ أَنَّهَا
تُهَانُ إِذَا حَانَ الشُّرُوقُ وَتُضْرَبُ
كَأَنَّ هِلاَلاً لاَحَ لِلطَّعْنِ فِيهِمُ
حَنَاهُ الرَّدَى وَهْوَ السِّنَانُ الْمُحَرَّبُ

ويستخدمها المعري في الدلالة على أوقات الصلاة ، وذلك قوله [طويل] ([١١٨]) :

وَعِنْدَ ضِيَاءِ الْفَجْرِ صُلِّيَتِ الضُّحَى
وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ صُلِّيَتِ الْعَصْرُ

---

[١١٦] – أمية بن أبي الصلت : ديوانه – جمع وتحقيق ودراسة د/ عبد الحفيظ السطلي – المطبعة التعاونية – دمشق ١٩٧٤م – ص ٣٦٦ ٠

[١١٧] – شرح اللزوميات ١٠٨/١ ٠

[١١٨] – السابق ٥٥/٢ ٠

والصلاة الأولى هي صلاة والضحى وهي من السنن أما الثانية عند غروب الشمس وهي صلاة العصر ، فإنها فريضة ٠

وعلى هذا النحو من توظيف الشمس في ديوان اللزوميات وجدنا أبا العلاء يستخدمها في سياق الحكمة أو سياق الوصف الذي ارتبطت فيه الشمس بكونها إحدى مخلوقات الله تعالى يصيبها ما يصيب المخلوقات من الفناء ، كما استخدمها للدلالة على أوقات الصلاة ٠

الخاتمة :

وفي ضياء ما قدمت من دراسة تحليلية وصفية لاستخدامات الشمس في شعر أبي العلاء المعري يمكن التوصل إلى ما يلي :

إذا كان ديوان سقط الزند هو الديوان الأول لأبي العلاء المعري ، فقد شهد هذا الديوان ثراءً فنيًّا لتوظيف الشمس بحيث جاءت في سياقات شعرية متنوعة كالغزل والمدح والفخر والرثاء والوصف ، في حين اقتصر توظيفه إياها في اللزوميات على الحكمة وما تضمنته من دلالة على ثقافة المعري الواسعة بعالم الفلك والنجوم والأنواء ، والتاريخ القديم والأساطير ، مع ذائقة فنية في التصوير والتوظيف الفني والدلالي للشمس ٠

لم يكن المعري شاعر غزل ، ولم تشغل المرأة من شعره مساحة كبيرة، ومع ذلك كانت له شأنه شأن غيره من الشعراء صور فنية للمرأة رسمها من وحي خياله وثقافته بأشعار السابقين فيما يتعلق بتوظيف الشمس في سياق الغزل حيث كانت الشمس مشبهًا به لجمال المرأة التي بدت لوحتها عنده " تنطق بالجمال والحب بكل أطيافهما " ([١١٩]) ولم يمنع البحث المعري من الشعور بما يشعر به الرجال من عاطفة نحو المرأة متأثرًا في ذلك بآفته ، وقد دللنا على ذلك بما ورد من شعر بشار بن برد وهو الشاعر الكفيف الذي لم يقصر عشق المرأة على الحاسة البصرية وحدها ، وإنما قد تعشق الأذن قبل العين أحيانًا ٠

ورغم ما بدا من صور الشمس في السياق الغزلي بالمرأة من حيث تقليدية بعض الصور ، أو تناصاته مع الشعراء السابقين ، إلا أنه قد بدت له بعض الصور التي تفرد بها من غيره من الشعراء

---

[١١٩] – د/ فوزية زوباري : الأنثى ودلالاتها الرمزية في شعر المعري – مجلة التراث العربي – السنة ٢٧ – العدد ١٠٨– ص ٢٢٨ – اتحاد الكتاب العرب – دمشق – سوريا ٠

السابقين ، تفردًا يشهد له بالشاعرية المبدعة ، الشاعرية التي تستدعي ما يقوم ببنائها كالثقافة والرواية لأشعار السابقين ، إلى جانب الفطرة والموهبة .

ولم يبعد المعري عن الشعراء السابقين عليه في توظيف الشمس في سياق المدح ، حيث كان تشبيهه الممدوح في وضاءة وجهه وجماله بالشمس ، وكذلك في رهبة جانبه وشجاعته ، وامتناعه من أن يؤثر فيه الحقد والضغن ، وإن بدت بعض الخصوصية الإبداعية في بعض الصور المدحية كتشبيه سلامه للممدوح بالشمس ، وفي الصنعة البديعية التي بدت في بعض أبياته مقارنة بالشعراء السابقين .

وفي سياق الفخر وظف المعري الشمس في دلالات الشهرة والقوة والمجد والصمود أمام حقد الحاقدين بحيث لا يؤثر فيه ومن يفخر بهم مثل هذا الحقد .

وفي الوصف وظف المعري دالة الشمس في دلالات متنوعة من مثل تشبيه الشمس بالمرأة على عكس ما هو شائع عند الشعراء ، ووصف أثرها على الماء والفارس والفرس والدرع ولمعانها ، ويمتد الوصف عنده ليشمل المجردات من مثل وصفه الخيالات ، كما وظف الشمس في سياقات أخرى مثل الرثاء والهجاء والتهنئة بالمولود والاستعطاف .

أما عن توظيف الشمس في ديوان اللزوميات ، فقد رأيناه يقصر سياقاتها على الحكمة ، وبعض الدلالات الأخرى مثل وصفها بأنها مخلوق من مخلوقات الله تعالى يصيبها ما يصيب غيرها من المخلوقات ، ووصفها بأن زمن أو وقت تؤدى فيه بعض الصلوات المفروضة وغير المفروضة ، وأنكر بعض الأساطير التي حيكت حول الشمس من مثل ما جاء في الشعر الجاهلي ، وهذا ما يدفعنا إلى التحرج الكبير من ربط الشمس في شعر ما بعد الإسلام بالتفسير الأسطوري .

المراجع

أولاً : المراجع القديمة :

الأحوص : عبد الله بن محمد بن عبد الله

١. شعره – جمع وتحقيق عادل سليمان حمودة – تقديم د/ شوقي ضيف – ط٢/١٩٩٠م – مكتبة الخانجي – القاهرة ٠

ابن برد : بشار

٢. ديوانه تقديم وشرح وتكميل محمد الطاهر بن عاشور – راجعه وصححه محمد شوقي أمين – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٦٦م ٠

أبو تمام : حبيب بن أوس

٣. ديوانه بشرح التبريزي – تحقيق محمد عبده عزام – ط٣/١٩٨٣م – دار المعارف ٠

الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد

٤. التمثيل والمحاضرة – تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو – الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م – بيروت ٠

ابن جعفر : أبو الفرج قدامة

٥. نقد الشعر – تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي – ط١/١٩٧٨م – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ٠

الحموي : ياقوت

٦. معجم البلدان – دار صادر – بيروت ١٩٧٧م ٠

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن

٧. جمهرة اللغة – تحقيق وتقديم د/ رمزي منير بعلبكي – ط١/ ١٩٨٧م – دار العلم للملايين – بيروت ٠

الزبيدي : السيد محمد مرتضى الحسيني

٨. تاج العروس من جواهر القاموس – تحقيق محمود محمد الطناحي – راجعه مصطفى حجازي وعبد الستار أحمد فراج – مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٦م ٠

ابن أبي سُلمى : زهير

٩. شعره صنعة الأعلم الشنتمري – تحقيق د/ فخر الدين قباوة – ط٣/١٩٨٠م – دار الآفاق الجديدة – بيروت ٠

ابن أبي الصلت : أمية

١٠. ديوانه – جمع وتحقيق ودراسة د/ عبد الحفيظ السطلي – المطبعة التعاونية – دمشق ١٩٧٤م ٠

العجلي : أبو النجم الفضل بن قدامة بن عبيد الله

١١. ديوانه – جمع وشرح وتحقيق د/ محمد أديب عبد الواحد جمران – مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق ٢٠٠٦م ٠

العسقلاني : ابن حجر

١٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري– تصحيح وتحقيق الشيخ بن باز – المكتبة السلفية – د٠ت ٠

ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن غالب

١٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد – ط١/٢٠٠١م – دار الكتب العلمية – بيروت ٠

ابن فارس : أبو الحسين أحمد

١٤ـ معجم مقاييس اللغة – تحقيق وضبط عبد السلام هارون – دار الفكر – دمشق ١٩٧٩م ٠

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم

١٥. الأنواء في مواسم العرب – دار الشئون الثقافية – بغداد ١٩٨٨م

القيرواني : أبو الحسن بن رشيق

١٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – ط٥/١٩٨١م – دار الجيل – بيروت ٠

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر

١٧. البداية والنهاية – تحقيق د/ عبد بن عبد المحسن التركي – ط١/ ١٩٩٧م – هجر للطباعة والنشر والتوزيع – الجيزة – مصر ٠

كراع النمل : أبو الحسن علي بن الحسن

١٨. المنتخب من غريب كلام العرب – تحقيق د/ محمد بن أحمد العمري – ط١/ ١٩٨٩م – مركز إحياء التراث الإسلامي – جامعة أم القرى – السعودية ٠

المتنبي : أحمد بن الحسين

١٩. ديوانه بشرح العكبري – ضبط وتصحيح وفهرسة مصطفى السقا ورفيقيه – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٩٣٦م ٠

المعري : أبو العلاء أحمد بن الحسين

٢٠. سقط الزند – شروحه للتبريزي والبطليوسي والخوارزمي – تحقيق مصطفى السقا ورفاقه بإشراف د/ طه حسين – ط٣/١٩٨٦م – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

٢١. شرح اللزوميات – تحقيق زينب القوصي ورفاقها – إشراف ومراجعة د/ حسين نصار – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م ٠

ابن منظور : محمد ابن مكرم

٢٢. لسان العرب – د٠ت – دار صادر – بيروت ٠

ثانيًا : المراجع الحديثة

البطل : د/ علي

٢٣. الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري – ط٢/١٩٨١م– دار الأندلس – بيروت

الجارم : محمد نعمان

٢٤. أديان العرب في الجاهلية – ط١/١٩٢٣م – مطبعة السعادة ٠

الجبوري : د/ يحيى

٢٥. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه – ط٥/١٩٨٦م – مؤسسة الرسالة – بيروت ٠

حسين : د/ طه

٢٦. تجديد ذكرى أبي العلاء – ط٥/١٩٥٨م – دار المعارف – القاهرة

داود : الأب جرجس داود

٢٧ـ أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي ط٣/٢٠٠٥م – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت

الدريدي : د/ سامية

٢٨. الحجاج في الشعر العربي – بنيته وأساليبه – ط٢/٢٠١١م – عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن ٠

دغيم : د/ سميح

٢٩. أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام – ط١/١٩٩٥م – دار الفكر اللبناني ٠

عبادة : د/ محمد إبراهيم

٣٠. معجم النحو والصرف والعروض والقافية – ط١/٢٠١١م – مكتبة الآداب – القاهرة ٠

عبد الله : د/ يوسف محمد

٣١. ترنيمة الشمس – نقش القصيدة الحميرية – صاغها شعرًا سليمان العيسى – ط١/١٩٨٩م– مركز الدراسات والبحوث اليمني – صنعاء

العشماوي: د/ محمد زكي

٣٢. قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث – دار النهضة العربية – بيروت ١٩٧٩م ٠

علي : د/ جواد

٣٣. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – منشورات جامعة بغداد – ط٢/١٩٩٣م ٠

الفهيد : د/ جاسم سليمان حمد

٣٤. التوظيف الفني للنجوم والكواكب في شعر أبي العلاء – حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية رقم٢٥ – سنة ٢٠٠٥م – مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت ٠

الفيفي : د/ عبد الله المغامري

٣٥ـ الصورة البصرية في شعر العميان – دراسة نقدية في الخيال والإبداع – ط/١٩٩٦م – النادي الأدبي بالرياض – السعودية ٠

قناوي : عبد العظيم علي

٣٦. الوصف في الشعر العربي – الجزء الأول : الوصف في الشعر الجاهلي – ط١/ ١٩٤٩م – مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ٠

مغنية : أحمد

٣٧. تاريخ العرب القديم – ط١/١٩٩٤م – دار الصفوة – بيروت ٠

المقدسي : أنيس

٣٨. أمراء الشعر العربي في العصر العباسي – ط١٧/١٩٨٩م – دار العلم للملايين – بيروت ٠

نافع : د/ عبد الفتاح صالح

٣٩. الصورة في شعر بشار بن برد ـــ دار الفكر للنشر والتوزيع – عَمّان١٩٨٣م ٠

نعمة : حسن

٤٠. موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة – دار الفكر اللبناني – بيروت ١٩٩٤م

اليازجي : كمال خليل

٤١. جولة في لزوميات المعري – الجامعة الأمريكية – بيروت ١٩٤٢م

ثالثًا : المراجع المترجمة :

بارندر : جفري

٤٢. المعتقدات الدينية لدى الشعوب – ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام – مراجعة د/ عبد الغفار مكاوي – عالم المعرفة ١٧٣– المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – مايو ١٩٩٣م ٠

بورا : س موريس

٤٣. الخيال البدائي – ضمن كتاب الخيال ، الأسلوب ، الحداثة – اختيار وترجمة وتقديم د/ جابر عصفور – ط٢/٢٠٠٩م المركز القومي للترجمة – القاهرة ٠

نيلسون: ديتلف ورفاقه

٤٤. التاريخ العربي القديم – ترجمة د/ فؤاد حسنين علي ، مراجعة د/ زكي محمد حسن – مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨م ٠

رابعًا : الدوريات :

٤٥. مجلة التراث العربي – السنة٢٧ – العدد ١٠٨– ٢٠٠٧م – اتحاد الكتاب العرب – دمشق ٠

٤٦. مجلة فصول – المجلد الأول – العدد الثالث – إبريل ١٩٨١م – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

٤٧. مجلة الهلال – جزء ٨ – السنة ٤٦/ عام ١٩٣٨م ٠

هذا الكتاب منشور في